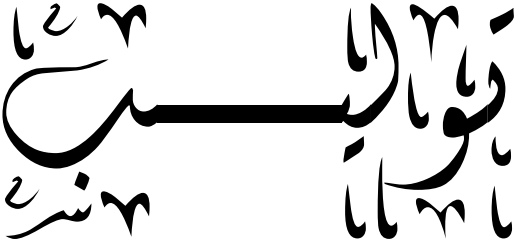

اسم الرواية: توليب

اسم المؤلف:فيروز مصطفى غانم

تدقيق لغوي: هاجر علي

تصميم الغلاف: محمد دربالة

تنسيق داخلي: أسماء عطا

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٣٣٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٤٤-١٢٠-١

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والآراء والمادة الواردة .وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير

إبهار
للنشر والتوزيع

E.mail:EBHARPUPLISHING@GMAIL.COM

MOBILE:01060267401

فيروز مصطفى غانم

ثوانٍ

وللحب رواية أخرى

رواية

إبهار
للنشر والتوزيع

"فلتَكُن صامتًا.. إن يد اللّٰه وحدها هي القادرة على إزاحة تلك الهموم عن صدرك

"جلال الدين الرومي

تولیب ـــــــ

الفصل الأول

بدا ذلك الصباح هادئ الملامح، يسكنهُ مزيج غريب من الترقبِ والانتظار، يحمل بين طياته هالة من التردد إلى أن باح بمكنون صدره

-"آسف. أنا بحب"

جملة من ثلاثِ كلمات.. تُمثل كل حياتها.. أجابته بابتسامة محببة وهي تنظر إليه بحب شديد "وأنا كمان" أجابته صدقًا لكنها لم تعِ حقًا أن تلك الكلمة كفيلة أن تدمر ذلك العالم الوردي الذي حافظت عليه بكل جوارحها، استطرد في الحديث بتعبير لم تعهده فيه من قبل

- "أنا متيم بِحُب واحدة تانية توليب.. أنا فعلًا بحب، آسف"

توقف الزمن من حولها في تلك اللحظة، تراءى لها انهيار الأشياء داخل الغرفة، نظرت إليه باندهاش وبأنفاس متقطعة صاحت

-"أنا فعلًا بحب، آسف؟!"

كررتها باستنكار لم تعِ ماذا يحدث، خشت أن تخونها قدماها فيشعر بضعفها، حدثته معاتبة

-"بكل بساطة زياد تقولي آسف.. أنا حقيقي مش قادرة أستوعب انت بتقول ايه"

انتظرت برهة تستجمع قواها ثم أضافت مستطردة حديثها بجمود وقد تحجرت عبراتها داخل محجرها

-"حلوة؟"

-"آية في الحسن والجمال"

-"ذكية؟"

-"جدًا لدرجة إني بحس نفسي غبي قدامها"

-"بتحبها؟"

-"حد العبادة"

-"بتحبك ؟"

-"اللي واثق منه إنها مش بتكرهني"

-"بتبيع قلبي وحياتنا وعشرتنا وحبنا عشان واحدة بتقول انك واثق إنها مش بتكرهك.."

صمتت برهة ثم تساءلت

-"عرفتها امتى قبل جوازنا ولا بعده؟"

أجابها وفي عينيه دمعة حبيسة

-"انتِ عارفة قد ايه أنا بحبك ومقدرش أستغنى عنك"

ردت بتهكم

-"أديك استغنيت.. مجاوبتنيش عرفتها امتى بعد جوازنا؟"

انتظرت جوابه وفي حين عدم رده أضافت قائلة

-"أكيد نزوة وهتعدي أنا مسمحاك"

همت بالوقوف داعية الله أن لا يناديها قالتها وهي تعي أن هناك شرخًا عميقًا قد شق طريقه إلى قلبها بضراوة .

-"استني"

مطت شفتيها في امتعاض وتحجرت في مكانِها

-"دي مش نزوة أنا فعلًا بحبها حد الجنون ومش قادر أستغنى عنها "تحدث مترددًا"

-و.. وعرضت عليها الجواز وهي وافقت"

ثم أضاف بارتباك وهو يعبث بشعره

-"وفي نفس الوقت مش هقدر أعيش من غيرك"

لم تحرك ساكنًا، بدا لها صوتها غريبًا عنها كأنه آتٍ من بعيد

-"عارف.. النهاردة عيد جوازنا حتى الذكرى دي انتَ دمرتها بكل تفاصيلها كان ممكن يفضل اليوم ده من أجمل أيام حياتي.. بتضحي بيَّ عشان واحدة انتَ واثق انها مش بتكرهك..".

أخذت نفسًا عميقًا ومسحت عبراتها براحة يدها الرقيقة ثم أردفت

-"على العموم احنا كان بينا اتفاق اليوم اللي هتبعني فيه أنا مش هبقي عليك فيه"

-"تقصدي ايه؟"

-"اللي فهمته"

-"بس انتِ عارفة إني بحبك"

ردت بضحكة هستيرية

-"عارفة اني بحبك!! تصدق ضحكتني.. انتَ بجد مصدق نفسك.. انت سامع الكلام اللي بتقوله.. زياد طلقني"

-"بتقولي ايه.. مقدرش"

-"متقدرش!!"

-"اه طبعًا مقدرش"

-"انت متخيل اني ممكن أعيش معاك بعد اللي قلته وناوي تعمله"

-"وايه اللي يمنع، انتِ عارفة اني بحبك وحبي ليكِ عمره ما هيتغير"

-"أنا مش مصدقة اللي أنا بسمعه منك دا، انت ازاي ترضى على كرامتي الوضع دا"

-"بين الزوجين مفيش كرامة"

-"لا فيه يا محترم، أما توصل انك تتجوز عليَّ وبكل بجاحة تقولي انك بتحبها وطلبتها للجواز ووافقت تبقى فيه كرامة على الأقل عندي الحوار دا عبثي، أنا مش متخيلة انت بتقنعني بإيه"

-"أنا بحبك"

-"انت أناني، مبتحبش إلا نفسك، والوضع دا أنا مش هسمح بيه وبعدين دا شرطي اللي انت مضيت عليه باختيارك فاكر فين؟ في قسيمة الجواز .. فاكر ساعتها انتَ قلت ايه؟.. قلتلي انتِ أول وآخر حب في حياتي وعمري ما هفرط فيكِ.. وهمضي على شرطك لأنه عمره ما هيحصل.. فاكر؟"

-"وأنا عند نفس كلامي"

-"أرجوك اسكت.. اسكت.. مش عاوزة أسمع منك كلام.. سمعت بما فيه الكفاية لحياتي كلها.. طلقني.. حياتي معاك انتهت بمجرد طلبك ليها بالجواز وجودي هنا معدش له أي معنى.. والشقة دي.."وقالت بنظرة تحتويها الكثير من الألم"دي كادو مني للعروسة الجديدة.. ومش عاوزة منك حاجة أنا بحلك من أي التزامات"

-"قد كدا أنا رخيص"

-"الجملة متتقالش كدا.. هي تتقال قد كدا أنا كنت مخدوعة سنين.. كلامك فوقني من حلم عشته خمس سنين.. كان حلم جميل بس للأسف طلع مزيف.."نظرت إليه بتساؤل"هو انتَ أصلًا عمرك حبتني؟؟"

-"أنا.."

-"لا استنى أرجوك متجاوبش مش عاوزة أسمع إجابة.. خايفة أسمعها تقتلني.."

-"توليب أرجوكِ"

-"أرجوك انتَ كفايه كلام، الوضع غريب، انتَ غريب، انتَ مش زياد اللي عرفته وحبيته واتجوزته، انتَ واحد تاني معرفوش أنا ماشية، ورقتي توصلني في بيت والدي"

-"استني دا بيتك"

-"معدش.. اللي كان ليَّ فيه خلاص مبقاش ملكي.. معتقد اني هبقى على شوية خشب وازار وستاير وغيره وغيره كل دا ميهمنيش، أنا صدمتي

الكبيرة فيك زياد، بس اللي أنا واثقة منه إني هسيبك للأيام وهي هتجيبلي حقي منك.. أتمنى من كل قلبي إني أنساك.."

قالتها بعد أن تركته وحيدا في الغرفة معلنة انسحابها التام من حياته.. ولم تكتفِ بالانسحاب بل عملت جاهدة على أن تنساه بعد أن تسلمت ورقة طلاقها منه.

"الرحلة من نفسك إلى نفسك، كفيلة لتعثر على منجم الذهب، اترك كل شيء كريه وكل حقد خلفك، وتقدم لحلاوة الحياة"

جلال الدين الرومي

الفصل الثاني

جلست توليب تتحدث مع والدها في محاولة يائسة منها لإقناعه برحيلها عن القاهرة

-"أرجوك يا بابا سبني أمشي خليني ألملم اللي باقي من كرامتي.. أنا مبقتش عارفة أروح الشغل وهو موجود هناك دايمًا ونظرات زمايلي ليا وكلامهم من ورايا.. متوقع أكمل ازاي ولا لازم أنهار عشان تحسوا بيَّ"

-"يعني يا بنتي مفيش أمل ترجعوا لبعض تاني"

-"يا بابا أنا حكايتي مع زياد انتهت بخروجي من بيته مش بورقة طلاقي"

-"بس يا توليب أنا مش هكون مطمن عليكِ"

-"ليه بس.. أولا أنا مش صغيرة.. دكتوراه في الترجمة ودماغي توزن بلد بزيها مش دا كلامك دايمًا ليا"

تحدث بقلق

-"أيوه يا حبيبتي بس انك تقعدي في اسكندرية لوحدك دي صعبة عليَّ"

رجته هامسة

-"أرجوك ساعدني أرجع حياة توليب تاني قبل ما تضيع مني"

رأف بحالها مجيبًا

-"خلاص يا حبيبتي أنا موافق على المبدأ.. محتاج التفاصيل"

زفرت بارتياح

-"بداية كدا أنا هقدم استقالتي.. أنا عمري ما حبيت التدريس من الأساس"

رد معترضًا

-"لا كله الا دا.. انتِ ممكن تعملي أجازة بدون راتب أو تحسين دخل أو أي مسمى من المسميات بتاعتكم إنما استقالة دي أنا مش موافق عليها أبدًا"

-"تمام مش هنختلف اتفقنا يبقى هقدم على أجازة.. الشركة اللي اتقدمت للشغل معاهم اسمها Go Gate للتجارة والمقاولات كانت عاملة إعلان طالبين مترجمين وبالفعل اتقدمت ومعايا عينات من شغل الترجمة بتاعي وكان هناك أعداد كبيرة حتى أنا شخصيًا اتخضيت من العدد اللي مقدم، وعرفت ان الشركة دي رأس مالها كبير في السوق يعني ليها اسمها وسمعتها"

-"تمام وبعدين؟"

ازدردت لعابها وهي تتابع في حماس

-"اتعملت مقابلة شخصية معايا وسألوني كام سؤال فني في الشغل.. ولقيتهم باعتين ليَّ انه تم ترشيحي للعمل معاهم.. دا كل الموضوع"

-"والمفروض تبدئي معاهم من امتي؟"

-"متحددلي ميعاد بكره بعد الضهر عشان أعرف التفاصيل"

-"خلاص حبيبتي توكلي على الله وأنا هوضب ليكِ شقة اسكندرية عشان تقعدي فيها، بكرة الصبح هكلم عم اسماعيل يبعت مراته تجهز الشقة، طالما دا اللي انت عاوزاه وهيريحك"

-"أنا مش عارفة من غيرك يا بابا كنت هعمل ايه.. ربنا يخليك ليَّ"

-"ويخليكِ ليَّ حبيبتي، طيب أنا عاوزك بكره تخلصي إجراءات الأجازة.. والأهم من دا كله انسي كل حاجة عاوزك تعرفي ان الحياة مبتقفش على رحيل حد، الحياة عبارة عن تجارب، ممكن نصادف التجربة السعيدة بكل تفاصيلها والتجربة السيئة بأدق تفاصيلها وفي كلتا الحالتين احنا عايشين وبنتعلم وهنتعلم طالما احنا عايشين في الدنيا دي.. أهم حاجة إننا منخسرش نفسنا لأن دي الحاجة الوحيدة اللي بنملكها، أهم حاجة عند توليب هي توليب نفسها مش حد تاني.. فهماني توليب"

اومأت برأسها بالإيجاب

-"وعاوزك تعرفي ان والدك دايمًا في ضهرك مهما كانت قراراتك هتلاقيني بدعمك لاني واثق فيكِ وعارف اد ايه انتِ شخصية متزنة"نظر في ساعة يده سريعًا ثم أردف"حبيبتي أخدنا الكلام هقوم أنام عدى ساعة على ميعاد نومي تصبحي على خير يا حبيبة بابا"

توجه إلى غرفة نومه ولكن توليب استوقفته"بابا"

نظر إليها"فيه حاجة يا حبيبتي"

توجهت إليه وأحاطت ذراعيها بخصره مستأثرة بحضنه الأبوي

-"أنا بشكر ربنا ليل نهار عشان انت في حياتي ربنا يخليك ليا"

ربت على رأسها كما اعتاد أن يفعل دومًا مبتسمًا بحنان وسائلًا إياها

-"مش هتنامي"

-"لا أنا هنزل المرسم محتاجة فرشتي وألواني وحشوني"

فاجأها والدها بابتسامة مشجعة

-"نويتي ترجعي تاني للرسم؟"

-"حضرتك عارف انه في دمي"

-"اه عارف.. وعارف كمان ان قرارك كان غلط من الأول انك توقفي الرسم.. بس مش هندور على اللي فات.. أنا مبسوط من قرارك.. معنى كدا ان توليب بنتي بدأت ترجع ودا شيء يبسطني"ربت على كتفها مرة أخرى بحنان"متشوق أشوف لوحة العودة"

ابتسمت لوالدها بحب شديد.. لطالما كان مشجعها الأول

أردف

-"على العموم حبيبتي متطوليش عشان يومك مرهق بكره يلا تصبحي على خير"

-"تلاقي الخير يا حبيبي"

توجهت إلى مرسمها.. محرابها الذي تركته باختيارها عادت إليه مرة أخرى لم يتغير به شيء فقد كان والدها حريصًا أن يُبقي على مرسمها مستعدًا لعودتها، فقد كان مرسمها محراب أمها من قبلها فهي من علمتها فن الألوان فكانتا تتباريان في رسم اللوحات اجترعت من أمها كل تفصيلة تجعلها الأفضل في مجال الرسم. كم تفتقدها في تلك اللحظات.. يا لهذا المرض اللعين! الذي أبى أن يترك أمها إلا جثة هامدة.. لم تستطع

توليب أن تتحكم في فرشاتها.. عادت إليها ذكريات زياد اللاذعة وموقفه المُعادي للوحاتها.. على الرغم من أنها بارعة فيما تتقن ولوحاتها أضافت سعادة في قلوب الكثيرين العاشقين لهذا النوع من الفن وهذا بشهادة أهل الفن.. فهي لم تنسَ أبدًا لهفة متعهدها الفني تامر لبيب الذي يعهد له ببيع لوحاتها وشرهه في اقتناء لوحاتها واستعجالها طالبًا المزيد.. إلا أن زياد لم يقتنع بفنها أو لم يكن مهتمًا به على الإطلاق، بل إنه كان يكره رائحة ألوانها لهذا أقلعت عن الرسم لمدة خمس سنوات مرغمة كما يقلع المدخن عن التدخين رغمًا عنه لعلة ما، فهو لم يكن أمرًا سهلًا على الإطلاق بالنسبة لها.. إذ كانت أناملها المرهفة تحن إلى فرشاتها العزيزة ولوحاتها الثائرة.. ولكنها في ذلك الحين أعطت الأولوية لقلبها حيث أقنعت نفسها بطريقة ما أن من يحب لابد له أن يتنازل ويضحي في سبيل إسعاد من يحب.. بيد أنها أغفلت أن من يضحي ويتنازل مرة بات من السهل على الطرف الآخر أن يطالب بسلسلة أخرى من التنازلات والتي أصبحت بعد ذلك حق مكتسب تحت غطاء الحب أو بمعنى أدق الأنانية المطلقة .

أخذت تفكر في أنها حتما ستصطدم بزياد رغمًا عنها غدًا.. يا الله آخر من تريد أن تراه أو تفكر فيه، كسرتها خيانته لها فطردته من قلبها بعد أن تسبب بإدمائه بلا رحمة

في صباح اليوم التالي توجهت إلى المدرسة التي تعمل بها كي تنهي بعض الأوراق، حدثت صديقتها سهى عن عملها الجديد ففرحت جدًا لها فهي تعلم حب توليب للترجمة وبراعتها فيما تعمل، شعرت أثناء توديعها لها أن هناك أعين تراقب من على مقربة منهما، نظرت صوبه وجدت أن عيناه تلاحقانها فتلاقت أعينهم، اقترب منها مستوقفًا إياها قائلًا

-"انتِ بجد ماشية"

نظرت إليه نظرة صارمة دون أن تتحدث وأدارت ظهرها له وأكملت طريقها

-"توليب استني هنا أنا بكلمك"

ردت بجمود يعتري ملامحها

-"أعتقد أستاذ زياد معدش فيه بيني وبينك كلام"

ردد كلمتها ببلاهة

-"أستاذ زياد"

-"أيوه طبعًا.. حضرتك منتظر أناديك بإيه؟" لم تنتظر لتسمع إجابه منه"أرجوك أنا مستعجلة ولازم أمشي ومفيش أي داعي لوقفتك معايا لان أنا معنديش كلام أقولهولك"

-"بس أنا لسه عندي كلام كتير"

-"آسفة معدش ينفع"

-"بس دا من حقي"

-"حقك؟!"

تسائلت مندهشة بعد أن ضحكت ضحكة ساخرة

-"حقك دا انتهى من بعد ورقة الطلاق.. يا ريت تفهم ومتتعرضليش إطلاقًا وتعرف إننا أغراب تمامًا، بعد إذنك"

-"جبتي القسوة دي منين"

ارتسمت ابتسامة على ثغرها محدثة إياه بحركة مسرحية

-"الفضل ليك وواضح اني استوعبت الدرس"

تركته وانصرفت وقلبها يكاد يقفز من موضعه لشدة الخفقان ولته ظهرها وهربت خافت أن تخونها عبَراتها وثقتها المزيفة.. قادت سيارتها وهامت بين الطرقات.. تتخبط لا تعلم لها وجهة محددة.. ترثي حال قلبها المحطم وكبريائها المجروح.. كم كانت تريد أن ترتمي في حضن أمها في تلك اللحظة.. وجدت نفسها تتوجه إلى مدافن العائلة فقد مسها الشوق لها ترجلت من السيارة ودنت من مقبرة أمها، قرأت لها الفاتحة ولم تتمالك نفسها جثت على ركبتيها بجوار أمها وأجهشت في بكاء مستمر أطلقت لعينيها العنان حتى تورمتا.. لامت أمها كثيرًا على رحيلها، وعاتبتها كثيرًا... وكأن الموت والرحيل بأيدي البشر.. هي تعلم جيدًا أن رحيلها لم يكن اختياريًا إنما قدرًا.. ولكن الموت يؤلم الباقون لا الراحلون.. لم يوقفها عن بكائها وعتابها إلا صوت أتى من خلفها

-"بعتذر منك بس انتِ كويسة؟"

أجفلت لهذا الصوت العميق فتحركت بسرعة ونظرت خلفها غير مدركة من هو صاحب الصوت أو من أين أتى أو منذ متى كان هناك يراقبها أجابت وهي تزيل عبراتها براحة يدها

-"أفندم؟"

اقترب منها مكررا سؤاله بشيء من القلق الواضح

-"انتِ كويسة؟"

ونظر حوله في انزعاج مستطردًا في سؤاله

-"انتِ هنا لوحدك؟"

أقلقها سؤاله ولكن لم يبدُ من هيئته أنه قاطع طريق أو شيء من هذا القبيل كان رجلًا طويلًا يرتدي حُلة سوداء مهندمة.. قد يكون شخصًا آخر يرثي حاله لحبيب فقده ويرقد تحت الثرى مثلها تمامًا تمالكت رباطة جأشها مجيبة بصوت شبه متماسك.

-"أيوه لوحدي"

حدثها معتذرًا

-"أنا آسف على التدخل بس أنا سمعت صوتك واعتقدت ان ممكن تكوني في مشكلة بما ان المكان شبه فاضي"

جالت بنظرها من حولها بنظرات زائغة وجدت أن المكان فعلًا خالي من أي آثار للحياة.. نظرت إليه وهي تشعر بالامتنان وأردفت

-"آسفة لو كنت سببتلك قلق.. أنا بس كنت مشتاقة لأمي"أضافت وهي تنظر لقبر أمها"بقالها هنا عشر سنين كل ما تضيق بيَّ الدنيا بزورها اشكِ لها وابكِ في حضنها"وأضافت وهي مازالت تنظر إلى قبر أمها

-"الدنيا دي عجيبة أوي.. بتاخد مننا أحلى ما في حياتنا، الحضن والأمان، أحن الناس علينا.. كأنها بتعاقبنا على ذنوب مش بتاعتنا.. وتسيبنا لوحدنا عمالين نواجه كائنات عايشة معانا على نفس الكوكب منتمية للجنس البشري بس هما في الحقيقة شياطين على هيئة بشر"

أجابها مطمئنًا

-"بس دا مش عقاب، دا اختبار أو بشكل أدق ممكن أقول إنها رحمة من ربنا"

نظرت إليه بتعجب

-"رحمة؟!"

ابتسم مجيبًا

-"أي حاجه بتيجي بتقدير ربنا بتكون رحمة الشغل،الرزق الجواز، الطلاق،الخلفة، حتى الحياة والموت.. كل الحاجات دي رحمة من رحمات ربنا، وكل الرحمات دي ربنا سبحانه وتعالى بيقدرها على اد الابتلاء، عارفة قصة سيدنا موسي والخضر"

أومأت برأسها باهتمام تُحِثهُ على استكمالِ الحديث

-"طيب خليني أفتكرها معاكِ بشكل سريع.. رحلتهم بدأت أما حبوا يعبروا البحر وركبوا السفينة فسيدنا الخضر ثقب السفينة وقتها غضب سيدنا موسي جدا فسيدنا الخضر ذكره بالوعد اللي وعده أول الرحلة وهو إنه ميسألهوش عن أي حاجه بيعملها، تاني قصة أما وجدوا مجموعة من الفتيان فأخد الخضر أحدهم وقتله فلامه جدًا سيدنا موسي وقال له أقتلت نفسًا بريئة بغير نفس ففكره الخضر للمرة التانية بالوعد، الحكاية التالتة أما وصلوا للقرية ومسهم الجوع فملقوش حد يطعمهم فالخضر وجد جدار على وشك الانقضاض فأقامه فسيدنا موسي قاله لو مكانك كنت أخدت عليه أجر.. وبالتالي لعدم صبر سيدنا موسى الخضر قاله هذا فراق بيني وبينك لكن بعد ما أفسر الأعمال اللي مصبرتش عليها.. بالنسبة للسفينة كان فيه ملك ظالم بياخد أفضل السفن ويترك السفن اللي فيها عيب أو

نقص فلما شاف العيب اللي فيها تركها ليهم، أما الغلام كان هيؤذي والديه وهما كانوا من عباد الله الصالحين وأمّا الجدار اللي في القرية فتحته كنز لولدين يتيمين كان أبوهما صالحا، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبقى الكنز تحت الجدار القديم ومينهارش لحد ما يبلغوا سِنْ الرُشد.. خلاصة كلامي ان كل اللي حصل دا من باب الرحمات اللي ظاهرها فعلًا مُصيبة إنما باطنها رحمة، نفس الشيء بالنسبة للمريض بمرض عُضال اللي ربنا بيتوفاه لعل حياته بمرضه عذاب ليه فبتكون رحمة ربنا له بالوفاة.. أو ربنا بيختبر صبرنا وإيماننا بيه على فراق أحبابنا.. هل هنرضى بقضائه وقدره ونحتسب ونطلب منه الصبر أو.."

حدثت نفسها بصوت مسموع قائلة"الرضا"

أجابها"أيوه الرضا، جنة الدنيا"

أضافت سريعًا

-"اللهم لا اعتراض.. أنا مش بعترض على قضاء ربنا ورحمته وأنا طبعًا راضية إنما أنا بجد محتاجة أمي، كان نفسي تكون موجودة معايا دلوقت.. عارف حضن الأمان اللي تقدر تقول وهو ضمك كل حاجة جواك تبكي وتضحك وترتبك وتسكت وتصرخ أو تطلع كل مشاعرك، اللي يطبطب وقت الوجع دا كان حضن أمي"

أغمضت عينيها بيدها

-"يا الله اد ايه أنا محتاجة الحضن دا، حضنها سحر، تنسى فيه كل حاجة مضيقاك وريحتها حتة من الجنة، وفي ضحكتها الأمان"

فتحت عينيها

-"عارف أنا أكتر حاجة نفسي فيها ايه دلوقت"

عقد ساعديه أمام صدره مجيبًا

-"أحب أعرف"

أجابت وقد بدا له أن هناك غصة تختلج صدرها

-"إني أنادي عليها وترد عليَّ وحشتني أوي كلمة ماما والغريب إني بقالي خمس سنين مشفتهاش ولا مرة في الحلم كانت دايمًا بتجيلي في أحلامي"

نظرت إليه قائلة

-"أنا آسفة جدًا إني قلقتك"

بدت وكأنها تذكرت شيئًا فنظرت إلى ساعة يدها بسرعة وقد اعتلتها ملامح القلق

سألها باندهاش

-"فيه حاجة؟"

-"يا الله اهودا اللي كان ناقصني.. عندي ميعاد شغل نسيته تمامًا"وتحركت للخارج مسرعة"أنا آسفة على القلق اللي سببتهولك وشكرًا انك ادتني من وقتك وسمحتلي أفضفض معاك، حقيقي شكرًا"

استوقفها سائلًا إياها

-"أنا معايا عربيتي لو حابة أوصلك في أي مكان"

أجابته شاكرة إياه رافضة عرضه فرافقها إلى الخارج وأوصلها لسيارتها حتى اطمئن لخروجها، حاولت أن تسرع ولكن ازدحام الطريق أبى أن تصل في موعدها فقد تأخرت نصف ساعة عن موعدها ولم يكن هذا

مؤشر خير.. فكيف يشعر مُستخدمها الجديد منها بالجِدية وهي مُتأخرة عن موعدها نصف ساعة كاملة حاولت أن تُعدل من هيئتها وهندامها قبل أن تَترجل من سيارتها، بعد أن انتهت توجهت بخُطى سريعة إلى مقر الشركة، لم تعلم لما تحدثت لذلك الغريب وأفصحت عن مكنون قلبها إلا أن الحديث معه كان سَلسًا مُطمئنًا.. لم تعتد التحدث للغرباء بهذا الشكل إلا أنها أرادت أن تشارك الحديث مع غريب تعلم أنها لن تلتقي به مرة أخرى

طَمئنتها مُديرة مكتب مُستخدمها الجديد مدام شريفة بابتسامة قائلة

-"حظك حلو دي مبتحصلش إنه يتأخر عن ميعاد له.."

فأجابتها تُوليب بتوتر

-"حتى أنا دي أول مرة أتأخر عن ميعاد ليا"

أشارت لها مدام شريفة بالدخول

-"اتفضلي أستاذة توليب يوسف بيه لسه واصل حالًا ومنتظر حضرتك"

شكرتها توليب على طيبها وطرقت بخفة على باب مُستخدمها، دَلفت داخل مكتبه، ألقت بنظرها في أرجاء المكان ثم حولت نظرها في اتجاه المكتب الكبير الموجود بالغرفة فوجدته خالي، جذب انتباهها لوحة مثبتة أعلى مكتب مستخدمها.. لوحة فنية مرسومة بحرفية فائقة لمجموعة من الجياد البرية الثائرة"أيقونة الحرية"كما كانت تسميها.. اقتربت منها ثم أمعنت النظر إلى التوقيع القابع أسفل اللوحة.. نعم إنها هي أجمل لوحاتها أدق وأروع ما رسمت، ارتسمت على شفاهها ابتسامة حنين حين رأت تلك اللوحة مثبتة بعناية في هذا المكان.. لوحتها الضائعة والتي كانت قد

وُضعت بطريق الخطأ وسط مجموعة من اللوحات المعروضة للبيع التي تم إرسالها لمتعهدها الفني تامر لبيب، الذي أشاد بجمال تلك اللوحة وأخبرها أنها أول ما تم بيعه من المجموعة فور عرضها.. حزنت كثيرًا لضياعها وقتئذ.

أخذت تنظر إليها بإعجاب حين تنبهت لصوت أتى من خلفها التفتت بخفة من فورها وما إن وقع نظرها على مصدر الصوت حتى تجمدت ملامحها.. وجدته هو.. إنه نفس الغريب الذي رآها تبكي بجوار قبر والدتها، ذلك الذي تحدثت إليه منذ وقت ليس ببعيد، أحست بحرج شديد وأحس بحرجها فأغمضت عينيها متخذة قرار العودة وما لبثت أن ولته ظهرها وهمت بالخروج إلا أنه استوقفها قائلًا

-"أرجوكِ اتفضلي"

تجمدت خطواتها فتحدث مرة أخرى وحثها على الجلوس.. امتثلت لكلامه فسألها

-"حضرتك دكتورة توليب"

فأومئت برأسها غير قادرة على النطق.. حدثت نفسها بلوم لماذا هذا الرجل بالذات دون كل البشر يكون مُستخدمها.. لقد رآها في أضعف حالاتها، فهم ما يدور بِخُلدها ومن ثم تحدث بعملية مزيلا عنها الحرج

-"واضح من السيرة الذاتية اللي قدامي ان حضرتك اجتزتي العشرات وبجدارة"تنحنحت قبل أن تهم بالحديث"أنا دكتوراة في الترجمة لغة فرنسية ودا شيء بعتز بيه جدًا اشتغلت كتير في مجال ترجمة الكتب ودا اداني خبرة معقولة في مجال العمل".

رفع حاجبيه بانبهار

-"تمام.. طبعا حضرتك عارفة طبيعة الشركات الخاصة وان أي شركة ليها أسرارها الخاصة وبالنسبة لي سرية العمل دي حاجة أساسية، لان طبيعة شغلك مختلفة جدًا عن باقي الموظفين في الشركة فبطبيعة الحال هتطلعي على أوراق مينفعش أي حد يطلع عليها، بمعني أدق هتكوني فرد أساسي في الشركة.. ترجمة الاجتماعات، الفاكسات، الإيميلات والعقود كلها هتكون اختصاصك خاصة ان الشريك الجديد بتاعنا فرنسي.. ودا معناه ان أسرار الشركة هتكون تحت إيدك"

أومأت برأسها بتفهم

-"مسؤولية إن شاء الله هكون ادها"استطرد حديثه"بالنسبة للراتب هيكون مرضي جدًا ليكِ.."وصمت لحظة ثم تساءل"حضرتك عارفة ان شغلك في مكتب اسكندرية مش كدا؟"

أجابته

-"أيوه يا فندم من يوم المقابلة وأنا عارفة الشرط دا"

-"تمام جدًا"

حدثها مشيرًا إلى الدبلة التي تقبع في بِنصر راحتها اليسرى

-"عذرًا أنا مقصدش التدخل لكن زوج حضرتك مش هيكون عنده اعتراض من الشرط دا"

نظرت إلى دبلتها كانت قد نسيت أن تزيلها من يدها قالت وقد نحت يدها جانبًا

-"لا يا فندم أنا مش متجوزة"تسائل مرة أخرى وهو يفرك جبهته"طيب بالنسبة للسكن عندك مكان متوفر للسكن في اسكندرية"

أجابته

-"أيوه يا فندم في شقة والدي في اسكندرية"

-"تمام.. ليكِ أي استفسار حابة أجاوبك عليه بخصوص الشغل"

-"لا يا فندم"

-"تمام جدًا"

-"بالمناسبة، ممكن بلاش كلمة يا فندم لانها حقيقي بتعصبني"

ارتبكت متسائلة"حضرتك عاوزني أقول ايه"ضحك لارتباكها"تقدري تقوليلي بشمهندس يوسف زي ما الكل بينادينى هنا"

-"تمام يا بشمهندس"

-"عنوان الشركة مدام شريفة هتديهولك أعتقد انك قابلتيها بره"

-"اه فعلا"

-"معاكِ بكرة توضبي نفسك في اسكندرية وتستقري وتقدري تستلمي شغلك بعد بكره.. وفي حالة احتاجتي تعرفي أي حاجة أو عندك أي تساؤل مدام شريفة أو مدام أمنية موجودين تقدري تكلميهم في أي وقت"

وحين لم يكن هناك أي مجال للاستفسار أردف"تقدري تتفضلي" "عن إذنك"أومأ لها برأسه"وهمت بالخروج إلا أنه ناداها"دكتورة توليب"نظرت إليه فأردف"بلاش حكاية المقابر دي لوحدك المكان مش

آمن على الإطلاق خاصة لواحدة مثلك"أومأت برأسها بارتياح شاكرة

"وقد يجمع الله كسير قلب بكسير مثله فيلتئما ويكتملا"

مولانا جلال الدين الرومي

الفصل الثالث

تسلمت توليب عملها، لطالما آمنت بأن الفرصة الجديدة ما هي إلا صورة لبدء حياة جديدة، مسار جديد مُهد لها كي تسير في دربه ولأنها كانت في انتظار تلك الحياة أو بالأحرى جاهدت لتنالها عملت بهمة ونشاط، عُرف عنها الإخلاص والجدية في العمل، استطاعت أن تثبت نفسها في فترة وجيزة.. اكتسبت صداقات كثيرة في مجال عملها وتعرفت خلالها على مديرها بشكل أكبر وذلك لأن أغلب التعامل المباشر معه، خُصص لها مكتب بجوار مكتبه يفصل بينهما باب ولكنها لم تكن تستخدم ذلك الباب اعتادت الدخول من باب سكرتارية مكتبه الرئيسي، أمضت أغلب الوقت في العمل بلا انقطاع أو ملل، بينما هي منكبة على ترجمة بعض الرسائل الإلكترونية دلف إلى مكتبها يوسف طالبًا منها الانتظار بعد ساعات الدوام ذلك لأنه في انتظار بريد هام طالبًا منها ترجمته فور وصوله وفعلت كما طُلب منها.. وبعد أن أنهت العمل عليه سلمته إياه بقلق شديد، أشار لها أن تجلس.. وما إن بدأ بقراءته حتى عقد حاجبيه بشدة.. واستوقفته جملة أن الشريك الفرنسي سوف يوقف تمويل المنتجع السياحي في شرم الشيخ خبط سطح مكتبة براحة يده بعنف

-"ازاي.. ايه اللي حصل.. احنا بينا عقود"

قاطعته توليب

- "يا بشمهندس هما ما حددوش أسباب وقف التمويل، احنا ممكن نراسلهم ونطالبهم بتوضيح أسباب وقف التمويل"

-"ودا اللي انتِ هتعمليه، ابعتي قوليلهم إننا بنطلب توضيح الأسباب اللي أدت لمطالبتهم بوقف التمويل على الرغم من إن العمل في المنتجع شغال على قدم وساق من غير توقف وإن تم تنفيذ ٥٥٪ من المشروع يعني أزيد من نصه"

وأردف في حيرة

-"أنا مش فاهم في ايه، على طول يا توليب من فضلك"

-"حاضر يا بشمهندس"

وانهمكت في كتابة وترجمة الرسالة، في تلك الأثناء دلف حجرة مكتبها وهي منكبة على الحاسوب تعمل بتركيز، أشار لها أن تستكمل ما تفعله فعادت لتركز على عملها وما إن انتهت نظرت صوبه وجدته مستقرًا على أحد المقاعد المقابلة لمكتبها مادًا قدميه على المقعد الآخر مغمضًا جفنيه

فأردفت بحرج

-"بشمهندس أنا خلاص بعت الإيميل وفيه نسخة منه بعتها على إيميل حضرتك"

ولم تتلقَ منه ردًا فنادته بصوت خفيض

-"بشمهندس يوسف"

محافظة على مسافة كبيرة بينهما، نادته مرة أخرى"بشمهندس"إلا أنه لم يرد فاقتربت منه محاولة أن تتبين سبب عدم رده وعلمت أنه غفا في سُبات عميق، لم تدرِ ماذا تفعل توقفت لحظة تتفرس معالم وجهه، عادت لتستقر على مقعد مكتبها وهي تنظر إلى ملامحه الهادئة بدا لها أكثر وسامة وهو نائم

نفضت عنها أفكارها فقد أحست بالذنب لتفقدها ملامحه أشاحت بوجهها عنه، شعرت بالإرهاق فقررت أن تُغمض عينيها لا أن تنام سرحت في بحر أفكارها، لم تستطع أن تنسى فعل زياد تجاهها، أخذت تحدث نفسها هل كانت بهذا الغباء حتى تظن أنه يحبها، كان له العديد من التصرفات معها تخبرها بذلك إلا أنها أبت أن تتفهم فهي فقط من كانت تحب وهو اعتاد على وجودها وعطائها لا شيء أكثر من ذلك.. تنهدت بعمق.

جاء صوت يوسف قريبًا منها

-"توليب"

انتفضت ما إن سمعت اسمها، ابتسم لها معتذرًا

-"آسف اني أخرتك الوقت دا كله، واضح إن النوم غلبني.. بس انتِ ليه ممشتيش؟"

أجابت بتثاقل محاولة أن تستجمع الموقف

-"معرفتش أعمل ايه بصراحة، أنا بعت الإيميل وبعت لحضرتك نسخة منه"

=طيب جهزي نفسك عشان هوصلك.. سيبي عربيتك هنا الوقت متأخر مش هينفع تسوقي في الوقت دا لوحدك وبالذات لاني السبب في تأخيرك"

أذعنت لطلبه سامحة له بتوصيلها، استقرت بجواره شعرت بنوع غريب من الأُلفه تسائل وهو يستقر على كرسي القيادة

-"محدش رد عليكِ"

أجابت بالنفي وما إن أدار مفتاح السيارة حتى سألها باهتمام

-"انتِ اتغديتي؟"

-"بصراحة لأ.. بس هاكل أي حاجة أما أروح"

-"تحبي تتعشي معايا؟"

أجابت بتوتر

-"شكرًا لعرضك بشمهندس يوسف بس بيتهيئلي الوقت متأخر"

صمت قليلًا وأردف وهو مثبت نظره على الطريق

-"أنا كنت عاوز أسألك سؤال.. واعذري لي فضولي"

عدلت من جلستها ونظرت صوبه

-"طبعًا اتفضل"

نظر إليها نظرة خاطفة وعاد يثبت نظره إلى الطريق قائلًا

-"اليوم اللي شفتك فيه في المقابر ايه اللي كان مخليكِ منهارة كدا"

تجمدت وهي تتذكر أحداث ذلك اليوم وخيانة زياد لها، أردفت

-"أفتكر إني قولت لحضرتك وقتها.. كنت مشتاقة لأمي"

وعاد الصمت يخيم من جديد.. حتى أوصلها إلى منزلها

عادت لتتحدث قبل أن تترجل من السيارة

-"تسمحلي أسألك سؤال"

نظر إليها باهتمام قائلًا

-"اه طبعًا اتفضلي"

-"حضرتك كنت بتعمل ايه في المقابر في اليوم دا"

أجابها وارتسمت على شفتيه ابتسامة تملؤها المرارة

-"أنا بردو كنت مشتاق بس إني أشوف ابني"

لم تعلم بماذا تجيب رددت مثل البلهاء الكلمة من صدمتها

-"ابنك؟!"

واستطردت بارتباك محدثة إياه بصوت خافت

- "أنا آسفة.. البقاء لله"

-"ونعم بالله.. مفيش داعي للأسف الموضوع دا بقاله تلات سنين"

انتظرت قليلا قبل أن تقول

-"تصبح على خير.. وشكرًا"

أجابها بابتسامة

-"تصبحي على خير"

ترجلت من السيارة دون أن تنطق بشيء آخر

وذهب بعد أن اطمأن على ولوجها داخل المنزل

وقفت تحدث نفسها بصوت هامس

- "ابنه يعني متجوز طيب ليه مفيش دبلة في إيده أو ليه مبيجبش سيرتها، ويا تري إيه اللي حصل، نفضت عنها أفكارها، أنبت نفسها قائلة"أنا ايه اللي بقوله دا وأنا مالي فوقي يا توليب فوقي" .

دلفت إلى المنزل لم تستطع أن تأكل ذهبت إلى فراشها بعد أن أخذت حمامًا ساخنًا عله يساعدها على الاسترخاء، تدثرت بالفراش علها تنام،

محاولاتها للنوم باءت بالفشل، أخذها تفكيرها صوب يوسف وابنه ماذا تراه حدث.

زفرت بقوة وأخذت تفكر محدثة نفسها

- "يا الله لماذا هناك دومًا ألم.. لما لا تكون الحياة خالية من العذابات والأحقاد والنظرات الفوقية والدونية، وأخذتها ذكرياتها رغمًا عنها نحو زياد الذي ملكها بكل ما تحمل الكلمة من معاني لم تعرف رجلًا سواه، تملك فؤادها وعقلها فكانت دنياها تدور سابحة في فلكه، لم تعلم قط أنه يومًا ما سيكون جلادها الذي أدمى قلبها، انزعجت من تذكرها له وأخذت تتململ في فراشها ماذا لو كانت الأمور تسير دومًا على نحو يسير، بعيدًا عن الإخفاقات والألم لكان الجميع سعداء.. أخذت تفكر حتى غلبها النعاس.

صبيحة اليوم التالي توجهت إلى عملها كالمعتاد بنشاط، بيد أنها ما إن دلفت الشركة حتى شَعرت بنوع من التوتر وما إن رأتها مديرة المكتب حتى دنت منها سريعًا

-"انتِ فين يا توليب بشمهندس يوسف بيسأل عليكِ من الصبح"

نظرت إلى ساعتها وهي تقول مؤكدة

- "أنا متأخرتش الوقت لسه بدري وبعدين أنا جاية تاكسي عربيتي سيبتها هنا من امبارح و.."

ولم تنهِ كلمتها حتى خرج يوسف من مكتبه وقبل أن يسأل عنها التقت أعينهما، حدثها باقتضاب وبنبرة لم تعهدها من قبل "توليب تعالي" فتبعته وهي تنظر إلى شريفة بعدم فهم

-"ترجميلي الإيميل دا من فضلك"

وقام بإعطائها نسخة مطبوعة من الإيميل وأشار لها أن تجلس وانتظر حتى قامت بترجمته

-"اتفضل"

قال بانفعال لم تره من قبل

- "أنا عاوز أفهم ازاي العرض بتاعنا انكشف.. مين اللي وصل العرض بتاعنا لشركة حسين زهدي"

نظر بغضب صوب توليب، أحست بنوع من الاتهام في نظرته لم تصدق تلك النظرة

تحدث عبر الهاتف الداخلي طالبًا مديرة مكتبه محدثًا إياها

- "اعمليلي اجتماع مجلس إدارة حالًا ونظر إلى توليب ومعانا دكتوره توليب".

انتظرت توليب في مكتبها غير مصدقة نظرة الاتهام التي لمحتها في عيني مديرها، نظرت إلى ساعتها لتتبين الوقت وجدت أنه قد حان ميعاد الاجتماع فطرقت الباب ودلفت للداخل، نظر إليها يوسف نظرة خاطفة، لم يحدثها مما آلمها أكثر وأكثر .. لقد حفظت سر عملها، عملت بإخلاص وتفاني.. لم تفهم لما يتهمها بما ليس فيها لما هذه النظرة القاتلة، أحست بغصة كبيرة تختلج صدرها، أرادت البكاء ولكن ليس هذا وقت البكاء إنه وقت المواجهة جلست بثبات وبداخلها بركان غضب ثائر فهي لم تكن في مثل هذا الموقف من قبل موقف الاتهام كانت تختلس النظر تجاه يوسف بين الحين والآخر وهو لم يحاول أن يرفع نظره باتجاهها.

بدأ توافد أعضاء مجلس الإدارة، اتخذت موقعها حول الطاولة المستطيلة كما الباقي، بدأ يوسف حديثه قائلًا "دلوقتي احنا عندنا مشكلة ومشكلة كبيرة.. منتجع شرم الشيخ مهدد انه يقف، الشريك الفرنسي هيسحب تمويله وطبعًا انتوا عارفين تمويله بحجم ايه.. وأكيد متخيلين الوضع لو اتسحب التمويل هيكون ايه، أنا شخصيا ممكن أخش السجن لان هيكون فيه مستحقات للبنوك لازم تندفع، ونتيجة لمحاربة زهدي عارفين أنا دفعت اد ايه عشان أوصل للشراكة دي مع الشركة الفرنسية وأحافظ على اسم شركتنا في السوق وطبعًا مفيش معانا سيولة تغطي المستحقات المطلوبة في الوقت الحالي، فلوسنا في السوق ولو فيه مستحقات مدفعتش فيه غرامة هتطبق، أنا محتاج تفسير للي حصل وازاي الورق اتفتح" واحتد بالصوت "ازاي حسين زهدي قدر يوصل لورق في مكتبي.. مين الخاين اللي شغال معايا"

تحدث دكتور ماجد وهو مدير المكتب القانوني بالشركة وأستاذ مخضرم في القانون

-"بشمهندس يوسف اللي احنا محتاجينه دلوقت إننا نحاول نعرف حسين زهدي مقدم ايه ونحاول نقدم عرض بشكل تاني يرجع لنا الشريك الفرنسي وفي نفس الوقت محتاجين نحقق في موضوع الاتهام دا عشان منرميش الناس بالباطل والجزئية التانية دي سيبهالي أنا هعرف مين عمل كدا بطريقتي"

تحدث قائلا

-"كلام معقول، الواضح ان الشريك الفرنسي ذكي بمعنى انه مقدر التزامنا في الشغل وعارف سمعتنا في السوق إلا انه عارف بالربكة اللي هيسببها حسين زهدي لينا وبالتالي حب يستفاد أكتر من العرض"

ونظر أخيرًا إلى توليب محدثًا إياها

-"توليب لو سمحتِ في مجموعة من الورق على مكتبي من فضلك هاتيها ووزعي النسخ"

ففعلت مثلما طُلب منها، حدثها وهو ينظر في الأوراق ودون أن يلتفت إليها

-"أرجوكِ استنيني في مكتبك هخلص ولينا كلام مع بعض"

أومأت برأسها مجيبه

- "حاضر يا فندم"

نظر إليها بغضب.. بيد أنها كانت قد ولته ظهرها وتوجهت إلى مكتبها

ما إن أغلقت عليها باب مكتبها حتى أجهشت في البكاء.. ها هي الخيبات تتوالى خيبة تلو الأخرى تسائلت بما أخطأت هذه المرة هل إخلاصها، إتقانها أم تفانيها في كل شيء هو خطيئتها الكبرى. أخذت تفكر ولم تجد إجابة على تساؤلاتها ولكنها أخذت قرارًا ليس فيه راجعة.. قرارًا يحفظ كرامتها.

-"طيب اللي قدام حضراتكم دا عرض حسين زهدي الشركة نفسها هي اللي بعتاهولي وواضح انهم حابين يضغطوا عليَّ لانهم عارفين اني محتاج ليهم بما اني بدأت في المشروع محتاج من حضراتكم العمل على الورق دا وتظبيط العرض بشكل ميرهقناش ماديًا.. ويا ريت تعرفوا مفيش حد

هيروح النهاردة غير أما الورق يخلص ومفيش أعذار حتى لو كان في اضطرار انكم تناموا النهاردة في المكتب، حجم تعاملاتنا مش قليل في السوق ولو حصل أي إخفاق معناها بداية النهاية ودا أنا مش هسمح بيه إطلاقًا.. تقدروا تتفضلوا" وجه حديثه إلى نائب رئيس مجلس الإدارة

-"عبد الرحمن تشتغلوا دلوقتي على العرض عاوز إعادة صياغة ودورلي على أي ميزة تنافسية تخليهم يستمروا معانا"

ثم توجه بالحديث صوب دكتور ماجد

- "دكتور ماجد محتاجك شويه لو تسمح"

-"اه طبعًا يا بشمهندس"

أشار له بالجلوس

-"اتفضل.. حضرتك كنت قلت هتعرف مين اللي دخل مكتبي.. اللي حابب أقولهولك ان احنا مش محتاجين نعرف مين اللي دخل المكتب ،أصول الورق دي اللي أتطلع عليها تلاتة أنا وحضرتك" وأضاف بضيق "وتوليب وبما ان أنا وانت استحالة حد فينا يعمل كدا فمفيش قدامي غير..؟"

قاطعه

-"توليب.. يا بشمهندس البنت من ساعة ما اشتغلت معانا وهي بتشتغل بكل طاقتها، ومعتقدش انها من النوع دا"

-"يا ماجد أنا متضايق من مجرد الفكرة بس دا اللي قدامي ومش عارف مفكرش غير في الاحتمال دا"

-"طيب وأنا عندي اللي يقطع الشك"

نظر إليه باهتمام فأضاف

- "بسيطة جدا اللي حضرتك ناسيه ان احنا ركبنا كاميرات مراقبة داخل مكتبك من فترة واللي ميعرفش عنها غيري أنا وانت ودا طبعًا في الوقت اللي كنا بنجدد فيه الكاميرات الخارجية للشركة"

أجابه باهتمام

- "تمام دا صحيح.. ازاي تاهت عن بالي الحكاية دي"

-"اللي احنا هنعمله دلوقتي اننا هنبعت للشركة اللي ركبتلنا الكاميرات عشان يبعتولنا حد يفحص التسجيلات.. بس أعتقد ان دا هياخد وقت"

أجابه يوسف

- "مش مشكلة المهم أعرف الخاين اللي وسطنا"

وأردف في حيرة

-"بس احنا هنبتدي من امتي"

وصمت قليلًا ثم استطرد

-"على العموم سيبلي أنا الحكاية دي وشوف موضوعنا الأساسي وأنا موجود هنا مش همشي"

-"طيب أنا هروح أشوف عبد الرحمن والجماعة وصلوا لإيه"

بعد أن خرج ماجد تحدث إلى شريفة وطلب منها البحث عن رقم شركة cam save"للخدمات المعلوماتية والمراقبة"وتحدث مع أحد مسؤولي

الدعم الفني وأرشده لكيفية التعامل مع كاميرا المراقبة والبحث بتواريخ الأيام المسجلة

بدأ يقلب ويبحث تذكر تفاصيل الليلة الماضية حينما تأخر للعمل وتأخرت معه توليب وغلبه النعاس في مكتبها بينما هي تعمل على ترجمة البريد الإلكتروني للشركة الفرنسية أتاه شعور بالفضول أن يرى ماذا فعلت تلك الليلة، ارتسمت على ثغره ابتسامة بعد أن رأى تفاصيل ذلك المشهد.

بعد برهة من الزمن طرقت توليب الباب فأذن لها بالدخول

- "تعالي توليب"

أجابته بلهجة جادة

-"لو سمحت لي أنا مش هاخد من وقت حضرتك كتير"

أشار لها بالجلوس

-"اتفضلي اقعدي"

-"لا.. لو سمحت أنا حابة أتكلم وأنا واقفة"

-"زي ما انتِ عاوزة.. أنا سامعك"

-"بداية أنا حابة أوضح لحضرتك إني مش أنا اللي خنت ثقتك أو بعت أسرار الشركة وعُمر دا ما كان في نيتي، وأعتقد حضرتك تشهد على مدى احترامي وحبي لعملي"

-"دا أولًا وثانيًا؟"

-"ثانيًا أنا عاوزة حضرتك تقبل دي" ووضعت أمامه ورقة

سألها دون أن ينظر إلى الورقة

-"ايه دي؟"

-"دي استقالتي"

رفع حاجبيه مندهشًا

-"استقالة.. طيب مش خايفة من اللي ممكن يتقال بسبب الاستقالة في الوقت دا"

-"دي بقي ثالثًا.. الاستقالة دي هتكون مع حضرتك لحد ما تكتشفوا اللي عمل كدا اعتبرها فترة إعلام برغبتي بإنهاء التعاقد"

نظر إليها مطولًا مما أزعجها وأثار اضطرابها

-"ممكن تقعدي؟"

أجابت بتردد

- "أنا وضحت لحضرتك إني مرتاحة كدا"

اتجه صوبها ووقف أمامها متكئًا على مكتبه

-"محدش وجهلك اتهام توليب"

-"بالكلام فعلًا محدش قالي حاجة وميهمنيش بصراحة لاني واثقة إني معملتش حاجة، لكن نظرة الشك اللي شفتها كانت كافية عن أي كلام"

زفر بقوه قائلًا بارتباك

-"أنا آسف لكن الورق دا مشافوش غير تلاتة، وحياتي على المحك، عارف انك ملكيش أي مصلحة وطبعًا قدرتي تكسبي ثقتي فيكِ ومن قبل ما اعرف انك توليب المترجمة اللي بتشتغل معايا"

أردف وهو يمرر يده بشعره بعصبية

-"انتِ فاهمة يعني ايه أدخل السجن.. فاهمة يعني ايه ان كل تعبي وعمري وشركتي تنتهي.. فلوسي كلها في السوق والمشروع دا أنا خاطرت بحاجات كتير عشان يتعمل.. مش هنكر إني فعلًا شكيت فيكِ لكن في لحظة غضب.. إنما بعد كدا أيقنت إنها فكرة سخيفة"

ثم أضاف وقد اقترب منها

-"انتِ ميطلعش منك شر"

خطت خطوة إلى الوراء حتى لا يقترب أكثر، لم تفهم ماذا يحدث ازدادت حدة ضربات قلبها لاقترابه

-"أرجوك يا بشمهندس أنا لسه عند موقفي واستقالتي مع حضرتك أنا هلتزم معاك لحد ما تكتشفوا مين اللي عمل كدا وفي اليوم دا أنا هكون بره الشركة بعد إذنك"

عاد ليجلس في مكتبه قائلًا

-"يعني دا قرارك النهائي؟"

استوقفتها كلماته وعادت تنظر إليه قائلة تتعمد إغضابه

- "أيوه يا فندم"

هز رأسه قائلًا

-"هو أنا مش قلتلك قبل كدا بلاش فندم دي"

ثم أردف بانزعاج

- "من فضلك استني لحظة"

ورفع سماعة الهاتف متحدثًا

-"شريفة لو سمحت عاوز صورة من عقد عمل الدكتورة توليب"

انتابتها الحيرة، لم تفهم إلام يرمي، ظلت مكانها حتى دلفت شريفة حاملة بين يديها الورق المطلوب وسلمته إلى يوسف، نظرت بقلق صوب توليب فشعرت بالتوتر الناشئ بين مديرها وتوليب، شكرها يوسف وانصرفت دون أن تضيف أي كلمة

تناول الورق بيده وتوجه إليها بالسؤال قائلًا

- "توليب انتِ قريتي العقد بتاعك؟"

أجابته بثقة

-"أيوه طبعًا قريته"

-"تمام يبقى أكيد شفتي الشرط الجزائي اللي هيتفرض عليكِ في حالة انك طلبتي الاستقالة أو الانسحاب قبل ما ينتهي وقت العقد"

فغرت فاهها غير مصدقة ما تسمع، لم تفكر في هذا من قبل بل لم تعتقد وبينما هي تمضي العقد أنها ستفكر في إنهائه في أي وقت من الأوقات خاصة وأنها كانت مرحبة بالعمل في شركته وبه رئيسًا لها، أخذت منه الورق ونظرت إلى الشرط الجزائي وخانتها قدماها فأحست برغبة شديدة في الجلوس لتمالك نفسها، ازدردت ريقها بصعوبة بعد أن جلست ناظرة إلى العقد، بدا يوسف مستمتعًا بردة فعلها حيث ارتسمت على شفتيه ابتسامة انتصار لم تفهم معناها

نظرت إليه قائلة بصوت مخنوق

-"بس انتَ واثق ان المبلغ دا مش معايا"

أجاب بأريحية

-"تمام.. يبقى ننسى حكاية الاستقالة دي، ونقطع الورقة وتتفضلي على مكتبك"

جلست غير مصدقة ما تسمع بدا لها شخصًا آخر غريب لم تره من قبل ،لماذا هذا التمسك الغريب بها تثق بقدرتها الجيدة على العمل ولكنه اتهمها بخيانة ثقته.. نعم اعتذر ولكنه أحس بالشك تجاهها لم تفهم

قطع حبل أفكارها قائلًا

- "تقدري تتفضلي على مكتبك"

-"أيوه لكن"

-"توليب، الموضوع منتهي"

اتجهت بحركة آلية صوب مكتبها إلا أنه استوقفها مرة أخرى مشيرًا إلى الورقة الموضوعة على سطح مكتبه قائلًا "تقدري تاخدي ورقة الاستقالة بتاعتك معاكِ لأنها مرفوضة" أخذتها وتوجهت إلى مكتبها في حالة من عدم الاستيعاب.

تأخر الوقت وجميع العاملين في الشركة على قدم وساق أخذت توليب تندمج في ترجمة الورق الذي طُلب منها كما انهمك جميع العاملين في العمل، جاء وقت الغداء متأخرًا فقد سمح يوسف بنصف ساعه لغداء متأخر بل لم يكتفِ بهذا إلا أنه طلب الغداء لجميع العاملين بالشركة فألحت شريفة على توليب طالبة منها أن تنضم للغداء معهم كما فعل

الجميع إلا أنها أبت وظلت منكبة على أوراقها تنفس طاقتها وغيظها في ترجمة الكلمات.

كانت شريفة أكثر العاملين قربًا من توليب بل كانت الأم الحاضنة لجميع العاملين بالشركة وذلك ليس لكبر سنها فقط، فقد كانت تقارب الخمسون عامًا إلا أنها لم تتوانَ أو تتكاسل قط عن أداء عملها وكان جميع العاملين يتشاركون حبها.

اقتربت منها متحدثة في قلق "حبيبتي انتِ لازم تاكلي حاجة الساعة داخلة على تمانية وانتِ لا أكلتي ولا شربتي"

أجابتها بصوت مرهق

-"أنا فعلا مليش نفس لأي أكل يا مدام شريفة حقيقي معدتي مش هتستحمل"

-"بس اللي انتِ بتعمليه في نفسك ميرضيش ربنا، حبيبتي أرجوكِ"

ابتسمت لها شاكرة اهتمامها

- "حقيقي أنا لو حبيت اكل أو حسيت اني عاوزة اكل هبعت أجيب أكل"

-"ليه تبعتي تجيبي اكل.. بشمهندس يوسف طالب اكل لكل الناس اللي موجودة"

أردفت بخفة وهي تضحك

-"بما أننا في حالة طوارئ"

ابتسمت توليب دون أن تقول شيئا فهذا لم يكن غريبًا على شخصية يوسف

أردفت شريفة بعد أن لاحظت شرودها

-"طيب بلاش اكل بما انه مزعلك.. هبعتلك قهوة"

أجابتها بابتسامة رقيقة متفهمة محاولات شريفة الطيبة

-"طيب.. ابعتيلي قهوة.. مش هقدر أقولك لا في دي"

اقتربت منها متحدثة بصوت خافت بابتسامة ماكرة في محاولة للتلطيف من حالة توليب المزاجية

-"طيب عشان تعرفي كمان هخلي البوفيه يعملهالك من بن الريس بتاعنا شخصيًا"

غمزتها فضحكت

-"أيوه كدا يا بنتي ايه دا.. دا الضحكة بتطلع منك بالعافية" حدثتها قبل أن تنصرف "صحيح ايه رأيك بكره بما انه الجمعة فسحة اسكندراني معاها أحلى اكلة سمك أكيد نستاهل نرفه عن نفسنا شويه.. ها ايه رأيك"

أجابتها توليب بابتسامة

-"العرض مغري بصراحة وأنا معنديش مانع.. نتفق ونخرج أنا فعلًا محتاجة أغير جو.. ومش هلاقي صحبة أحسن من صحبتك مدام شريفة"

-"بما انها هتبقى صحبة ومفيش أحلى من صحبتي نخليها شريفة من غير ألقاب" وأضافت بخفة وهي تبتسم "أنا مش مكلكعة"

-"أوك يا شريفة من غير ألقاب" ضحكت كلتاهما، تركتها وخرجت قائلة "هبعتلك القهوة على طول"

ابتسمت وعادت تنهمك مره أخرى بين أوراقها

دلف يوسف إلى مكتبها دون أن يطرق الباب مما أجفلها قائلًا "لو سمحت توليب ترجمي الإيميل دا وابعتيه" قرأته سريعًا وفهمت أنه يطلب إعطائهم بعض الوقت للرد وأنه جاري العمل على إعادة صياغة العرض

-"حاضر"

وقف قليلًا واضعًا يديه في جيب سرواله وقد عقد حاجبيه قليلًا سائلًا إياها

- "ليه مأكلتيش"

اندهشت لسؤاله، نظرت إليه

- "من غير أي سبب.. بكل بساطة مش عاوزة"

-"طيب أول ما تخلصي كتابة الإيميل وبعد ما تبعتيه بلغيني"

-"حاضر"

خرج قائلًا

"منتظرك في مكتبي"

حدثتها شريفة "توليب أنا ماشية تحبي أستناكِ"

-"لا تسلمي، لسه معايا وقت هخلص اللي في إيدي الأول قبل ما امشي"

-"طيب تمام يلا تصبحي على خير على معادنا بكرة"

-"هكون جاهزة على الساعة ٩"

-"اتفقنا هعدي عليكِ"

تعدت الساعة العاشرة مساءً وكان جميع العاملين بالشركة قد انصرفوا ولم يتبقَ سوى توليب ويوسف مرة أخرى، بعد أن أنهت كتابة البريد الإلكتروني وأتمت إرساله توجهت إلى مكتب المهندس يوسف كما طُلب منها، طرقت الباب ودلفت دون أن تنتظر منه ردًا

-"دي نسخة مطبوعة من الإيميل.. حضرتك هتحتاج حاجة تانية"

-"لا.. استني هنزل معاكِ"

تناول الجاكيت خاصته وارتداه.. سارت بجانبه وخرجا سويا في جو من التوتر

ولته ظهرها وسارت باتجاة سيارتها قائلة

-"تصبح على خير"

استوقفها

-"انتِ رايحة فين"

أجابته "هروح"

-"تعالي هوصلك اركبي"

أجابته مقاطعة "لا"

لاحظت انطباق فكيه غضبًا وأضافت

- "مفيش داعي معايا عربيتي"

لم تنتظر رده، اتجهت إلى سيارتها، عقد ساعديه أمام صدره، أراح ظهره على باب سيارته وانتظر لم تبالِ لفعله، أدارت مفتاح التشغيل إلا أن سيارتها أبت أن تدور، حدثت نفسها

-"يا لحظي العسر"

أدارت محرك السيارة مرة أخرى ولم تتلقَ ردًا لم تسمع دوي صوت المحرك تعددت محاولاتها كمحاولات بائسة تجبرها أن تدور ولكن محاولاتها جميعها باءت بالفشل، كادت أن تبكي وجدته يقترب ويربت على زجاج سيارتها

-"اقفلي العربية وانزلي"

فعلت مثلما طُلب منها ولكنها أبت أن تتحرك

-"ممكن أفهم فيكِ ايه"

أردف وقد بدا نافذ الصبر

-"أنا بقولك هوصلك مش هخطفك، اركبي وأنا هكلم ميكانيكي الشركة يشوفلك العربية هاتي مفتاحك"

أخذ مفتاحها وتركه لدى موظف أمن الشركة، قام بعمل اتصال هاتفي سريع وعاد إليها

-"الموضوع كله مش هياخد ساعة على ما يجي ،هوصلك واخليه يبعتلك العربية"

أجابت باستسلام

-"طيب، شكرًا ليك"

اتجهت إلى سيارته وجلست في المقعد الأمامي بجواره، أغمضت عينيها لحظة محاولة أن تستجمع قواها.. أخذت تتذكر أحداث ذلك اليوم الغريب المشحون.. عدلت من جلستها ونظرت للخارج فانتبهت للطريق

-"ايه دا احنا رايحين فين دا مش طريقي"

لم يجبها، ثبت نظره على طريقه دون أن يتحدث

-"يوسف من فضلك احنا رايحين فين؟"

ألقى نظرة سريعة قبالتها وعاد ينظر إلى طريقه ولكن تلك المرة ارتسمت ابتسامة على محياه وقال محدثًا إياها "دي أول مرة تقولي اسمي من غير بشمهندس أو يا فندم"

أحرجت لملاحظته

-"أنا آسفة مقصدتش"

-"لا من فضلك متعتذريش بالعكس.. أنا أول مرة أسمع اسمي بيتنطق بالشكل دا وبصراحة أحب أسمعه تاني"

تململت وتوردت وجنتاها وتحدثت في ضيق

- "من فضلك.. ممكن تقولي انت موديني فين؟"

-"هنتعشى سوا"

-"بس أنا مش عاوزة اتعشى"

-"مش عاوزه تتعشي ولا مش عاوزة تتعشي معايا أصلها تفرق" وأردف برقة "اللي أعرفه انك مأكلتيش من الصبح.. وعندي إحساس إن أنا

السبب فخليني أعوض عليكِ.. أنا عارف لو كنت قلتلك من الأول كنتِ هترفضي لكن بما اننا هنا فأرجوكِ نتعشى سوا"

امتثلت لطلبه بعد إلحاح، ما إن دلفت ذلك المطعم حتى شعرت بالارتياح فكان يحمل طابعًا دافئًا بحوائطه الخشبية وألوانه البنية بالإضافة إلى أنه يطُل مباشرة على البحر، ظهر إعجابها على ملامحها المبتسمة، أطلت على امتداد بصرها صوب البحر وأنصتت لصوت الأمواج المتلاحقة.

-"واضح ان المكان عجبك.. أنا تخيلت كدا برضو"

-"وعرفت منين انه عجبني"

-"من عينك"

-"واضح ان عيني كشفاني"

-"دايمًا"

-"وعيني مقالتش اني مطلعتش سر الأوراق لحسين زهدي"

زفر بانزعاج

- "هو أنا مش اعتذرت لِك.. بالمناسبة أنا مش متعود أعتذر.. ودا في حد ذاته يبين صدق الاعتذار"

نظرت إلى البحر قائلة

- "عارف أنا أول مرة من يوم ما جيت اسكندرية أشوف البحر عن قريب"

قال لها بنبرة مازحة

-"واضح ان رئيسك المباشر بيتقل عليكِ في الشغل.. تحبي أكلمهولك؟"

ضحكت على مزاحه

-"صحيح انتِ كنت بتشتغلي ايه قبل ما تيجي الشركة"

-"مدرسة فرنساوي كنت بشتغل في مدرسة لغات"

-"مش معقول"

-"ليه مش معقول؟"

-"مش متخيلك بالنضارة والعصاية"

ضحكت قائلة

-"انت واخد فكرة غلط خالص عن المدرسين احنا اتطورنا خالص"

-"طيب ايه اللي خلاكِ تسيبي التدريس وتتجهي للشغل الخاص، معتقدش إن الموضوع ليه علاقة بالراتب؟".

تنحنحت قبل أن تُجيب

-"فعلًا الموضوع ملوش علاقة بالراتب، بس ممكن تقول اني مكنتش مستريحة في الشغل"

تناهى إلى سمعها صوت ضحكات لطفلة صغيرة فنظرت حولها لتجدها على مقربة منهما حيث طاولة لأُسرة صغيرة مكونة من زوج وزوجة وطفلتهما الصغيرة رائعة الجمال، ابتسمت لها أخذت الطفلة تداعبها، وكان يوسف يراقبهما بصمت، تَذكرت رُغمًا عنها إلحاحها الشديد على زياد ورغبتها في الحصول على طفل إلا أنه لم يكن ليوافقها يومًا بحجة أنه يريد أن يحيا بقربها أطول وقت ممكن وأنه يريد أن يستأثر بحبها له فقط .

سألها قاطعًا عنها شرودها

- "آنسة توليب لو سمحتيلي أسألك انتِ ليه متجوزتيش لحد دلوقت"

عدلت من جلستها وأمالت رأسها جانبًا لتمنع سقوط عبرة مترقرقة في محدقها محدثة إياه

- "وإيه اللي خلاك تعتقد إني متجوزتش"

أجاب وهو عاقد حاجبيه

-"يعني انتِ متجوزة"

-"لا، مطلقة "

لم تتوقع طوال فترة زواجها من حب عمرها أنها في يوم من الأيام كانت ستقع في مصاف المطلقات لترى الشفقة ترتسم على الوجوه من حولها .

-"اه.. آسف"

-"أرجوك مفيش داعي للأسف، دا كان اختياري"

أجابت بينما تتفرس في قائمة الطعام محاولة منها للهرب من عينيه السائلة، أخذت تقلب صفحاتها دون أن تقرأ ما بها ،فهم ما ترنوا إليه فسألها محاولة منها لتخفيف توترها

- "تحبي أطلبلك من الأكل اللي هطلبه؟"

أجابته وهي تضع قائمة الطعام أرضًا

- "اه يا ريت"

وأشار للنادل الذي دون ما طلب

أردف "واضح ان شريفة بتحبك أوي"

-"أنا كمان بحبها وعلاقتنا كل يوم بتزيد، بس ايه اللي خلاك تقول كدا"

-"يعني.. اهتمامها بيكِ وكلامها معايا عنك"

لم تفهم، سألته بريبة

- "وهو أنا موضوع كلام بينكم؟"

قطع حديثهم اقتراب النادل من الطاولة، وضع الطعام فانتظر حتى انصرف ثم أردف

="بصراحة، هي حملتني ذنب عدم أكلك النهاردة"

أجابته

="أنا فعلًا وقتها مكنتش عاوزة اكل، يمكن لأن الوضع كله مكنش مستقر وكان الجو العام مشحون وكله توتر"

="بس دا ممنعش الناس إنها تاكل"

="يمكن بس التوتر بيخليني معرفش اكل"

="واضح إنك إنسانة رقيقة توليب"

توردت وجنتاها لقوله، فلم تجبه إنما أشاحت نظرها عنه، تناولت كوب الماء وارتشفت منه ثم أردفت لتغيير دفة الحديث عنها

-"واضح إن مدام شريفة قريبة منك أوي"

="في الحقيقة شريفة مش مجرد مديرة مكتبي.. يمكن لأن ملهاش حد فأنا بعتبرها عيلتي" عدل من جلسته ناحيتها بشكل كلي واستطرد حديثه "في الأساس كانت بتربطها صداقة قوية مع والدتي، وبعد وفاتها تعبت جامد من فراقها فعرضت عليها الشغل معايا، اتحمست جدا وبصراحة هي شالت كتير عني بإخلاصها وحبها ليا ولسمير ونور"

كررت متسائلة "سمير ونور؟"

أخرج صورة صغيرة من حافظة نقوده وقال "دا سمير ابني"

أردفت بكلمات مترددة "دا اللي.."

-"توفي أيوه لو كان معايا دلوقتي كان هيتم عشر سنين"

-"الله يرحمه"

أردف "ودي نور بنتي الصغيرة أصغر من سمير بتلت سنين"

-"ما شاء الله بنوتة جميلة" توقفت قليلًا ثم استطردت "تسمحلي أسأل ايه اللي حصل له"

أسند ظهره إلى الوراء وهو يتأمل صورته بدا وكأنه يستدعي صورة ما حدث أمامه

-"خناقة زي اللي بتحصل بين أي زوجين، طليقتي غضبت، أخدت الولد ونزلت، كان عمره وقتها خمس سنين، ساقت العربية، عملت حادثة وبس، هي خدوش بسيطة وهو.." صمت قليلا ثم أردف "مات".

-"أنا آسفة إني جددت عليك المواجع"

أجابها بمرارة آلمتها وهو يخرج سِيجارة ويشعلها

-"أنا وجعي متنساش توليب عشان يتجدد، في أوجاع بتتحفر في القلب مهما تعدي السنين ما بتداواش، ربنا بيصبرنا ويراضي قلوبنا صحيح لكن الجرح محفور في القلب والروح" وأردف "اليوم اللي شفتك فيه في المدفن كان ذكرى وفاته"

ازدردت لعابها بصعوبة وسألته

- "والمدام.. أكيد كان صعب عليها الموقف؟"

-"هتصدقيني لو قلتلك معرفش عنها حاجة، اللي كان بيجمعنا معدش موجود.. موت سمير كسر الجزء الهش الباقي اللي كان في علاقتنا"

أجابت بنبرة حانية وهي متفهمة شعوره "لكن فيه نور"

-"مش لازم نستنى عشان هي كمان تموت، بعد الحادثة استحالت الحياة بينا، حبيت أحافظ على حياة بنتي، اتطلقنا ومحدش يعرف حاجة عن التاني أو على الأقل من ناحيتي، كل واحد فينا اتحمل فوق طاقته وكان لازم أما نوصل للمرحلة دي ننفصل" أردف بأسف "كل اللى هي عملته إنها أخدت البنت واختفت، معرفش عنهم حاجه لحد دلوقت"

وحينما خيم الصمت نظرت في ساعتها قائلة

- "نظرت حولها وأحست بالبرودة تجتاح جسدها فقالت "أنا بردت أوي، ممكن نمشي"

أجابها

-"زي ما تحبي"

قام بإيصالها إلى منزلها وقبل أن تترجل من السيارة وتنصرف حدثها

-"أنا هبعتلك العربية بتاعتك مع الميكانيكي والمفتاح هسيبه مع البواب"

-"أنا مش عارفة أشكر حضرتك ازاي"

-"من غير شكر أنا معملتش حاجة"

ابتسمت قائلة "تصبح على خير" ترجلت من سيارته، خطت نحو منزلها إلا أنه صاح مستوقفًا إياها "توليب، لحظة واحدة من فضلك" نظرت خلفها وجدته يعدو صوبها حاملًا بين يديه اصيص يحمل نبته

-"تسمحي تقبلي مني دي".

نظرت إليه مبتسمة وقد اتسعت ابتسامتها "زهرة التوليب"

-"ممكن تاخدي بالك منها عشاني".

تسائلت باستنكار

-"عشانك؟"

أجابها مبتسما

- "تصبحي على خير"

راقبته يعدو مبتعدًا صوب سيارته والابتسامة تعلو وجهه، وقفت قليلًا تحملق في زهرة التوليب، شعرت بتزايد خفقان قلبها لكنها أحبت ذلك الشعور، أخذت نفسًا عميقًا ثم فتحت حقيبة يدها تفتش عن مفتاح المنزل حتى أتاها صوت تعرفه جيدًا جمدها في مكانها.

- "انتِ ازاي تتأخري الوقت دا كله" التفتت سريعًا لمصدر الصوت بملامح مرتعبة قائلة "زياد!" واستدركت نفسها من فورها ثم سألته بحدة "انتَ ايه اللي جابك هنا وعرفت عنواني من فين؟"

الفصل الرابع

-"يا ابني هي رافضة تتكلم معاك أصلا أو تشوفك"

طالبه بإلحاح

-"يا عمي دي محاولة أرجوك، أنا أصلًا كنت رافض حكاية الطلاق، توليب حب عمري واللي أنا فيه دا أنا مش عارف اسميه ايه، انها أنا قلبي طول عمره مع توليب، أرجوك اديني عنوان الشركة اللي هي شغالة فيها وأنا هقنعها إنها ترجعلي أنا عارف إنها أكيد زعلانة وغضبانة مني بس من حقي إني أحاول معاها من فضلك قل لي هي فين وادييني عنوانها".

تحرك السيد مصطفى نحو زياد ماسكًا إياه من ياقة قميصه جاذبًا إياه صوبه قائلًا

-"أنا لولا عارف اد ايه هي حبتك كنت كسرتلك صف سنانك انت فاهم الكلام دا ولا لأ"

أجاب زياد بأنفاس لاهثة

-"فاهم.. فاهم.. مصطفى باشا والله العظيم أنا مقصدتش أؤذيها"

-"اللي أعرفه إنك بالفعل أذتها"

أفلته من قبضة يده قائلًا

-"انتَ اتجوزت البنت التانية"

-"أيوه يا عمي.. بس أنا هطلقها خلاص، اعتبرها غلطة وأنا فقت منها"

-"لا حول ولا قوة إلا بالله هي بنات الناس لعبة" دون السيد مصطفى العنوان سريعًا في قصاصة ورقية وأعطاها لزياد "اسمع يا زياد أنا سيرتي متجيش في الموضوع شوف انت ممكن تقولها جبت العنوان من أي حد

غيري، متقولهاش إني ادتهولك، أنا هديهولك بس عشان لو فيه أي فرصة للإصلاح بينكم مكنش أنا اللي وقفت فيها"

-"أنا متشكر ليك يا عمي"

-"ما تشكرنيش لان لو عليَّ أنا.. مش عاوز أشوف وشك ولا أشوفك جنب بنتي بس دا مش قراري، دا قرارها هي"

أعاده سؤالها للواقع

- "مش مهم أنا جبته من فين المهم إني جيت وشوفت بتعملي ايه"

-"انت مخبول ومش طبيعي وبلاش الطريقة الرخيصة دي في الكلام"

-"مين دا؟"

-"ميخصكش لو نسيت أحب أفكرك إنك انتَ بالذات ملكش حق تسألني السؤال دا احنا مفيش حاجة تربطنا ببعض"

-"بس انتِ عارفة اني بحبك"

-"تصدق مفهومك عن الحُب غريب جدًا، زياد الموضوع دا انتهى وللأبد من فضلك امشي وانساني لاني كمان نسيتك"

-"كذابة، أنا عارف انك بتحبيني وعمرك ما هتقدري تنسيني"

-"اديني سبب واحد أبقي فيه عليك" وحين لم تجد منه ردًا "شُفت"

-"طيب ممكن ندخل نتكلم جوا في الشقة"

أجابته مقاطعة

- "لا، لو عاوز تقول حاجة قولها هنا"

-"على السلم يا توليب"

-"أيوة على السلم يا زياد"

-"اتغيرتي أوي"

-"وانت كمان اتغيرت أو يمكن انتَ طول عمرك كدا بس أنا اللي مكنتش شايفة"

-"أنا جاي وعندي أمل اننا نرجع تاني"

ضحكت بقوة

- "نرجع تاني؟! زياد اللي أنا بنيته في سبع سنين هديته انت بكل بساطة في كلمة واحدة انتَ كسرت كل اللي كان جوايا من ناحيتك أنا مش هدخل معاك تاني الدايرة دي ومن فضلك امشي أنا عاوزة أنام"

-"بالبساطة دي؟"

-"أيوة بالبساطة دي نفس البساطة اللي سبتني بيها ،انتَ كنت متوقع اني بعدك حياتي هتقف، يبقى معرفتنيش يا زياد، أرجوك امشي ابعد عني كل اللي بينا خلاص انتهى"

-"أنا همشي دلوقت بس هشوفك تاني وأرجوكِ فكري في رجوعنا لبعض"

وتركها وانصرف، تأكدت ذلك اليوم من حقيقه مشاعرها لزياد لم يعد يؤثر فيها كما كان من قبل، إنها بالفعل تخطته إلا أنها لم تنسَ صنيعه لجرح كبريائها .في تلك الليلة شعرت توليب برغبة مُلحة للنوم ولأول مرة منذ سنة أراحت عينيها وغفت بأريحية دون تململ .

في صبيحة اليوم التالي دق جرس هاتفها بإلحاح

صاحت وهي تعدل من جلستها "شريفة"

-"بقى دي اتفاقات ستات أنا بقالي ساعة برن عليكِ، هو مش فيه بيننا ميعاد"

سألتها بحرج

-"هي الساعة كام دلوقت"

-"الساعة عشرة يا هانم أنا بقالي ساعة مستنياكِ تحت البيت"

-"طيب ممكن تطلعي وأنا هعملك قهوة تشربيها على ما أجهز"

-"تمام انتِ الدور الكام"

-"الرابع ومتقلقيش الأسانسير شغال"

نهضت من فراشها مسرعة وفتحت لها الباب

-"صباح الخير"

-"صباح الورد، توليب"

-"ايه النوم دا كله"

-"تصدقي أنا حاسة ان بقالي سنة ما نمتش وبحمد ربنا ان النهاردة الجمعة"

ضحكت شريفة

-"هو فعلًا بعد ضغط شغل امبارح من رحمة ربنا ان النهاردة الجمعة على الرغم اني عارفة ان يوسف كان ممكن يعوضنا بيوم أجازة لو النهاردة كان يوم عادي"

-"واضح انك فاهمة يوسف أوي"

-"يوسف دا ابني اللي مخلفتهوش"

حدثتها توليب

- "ما تيجي المطبخ أعملك قهوة البن اللي عندي جاي مخصوص وأحلى من البن الخاص تبع البشمهندس" ضحكتا بشدة

ارتشفت رشفة قائلة

- "تصدقي فعلًا القهوة طعمها روعة جبتيه من فين؟"

-"أختي زهرة عايشة في فرنسا، بتبعتلي كل فترة قهوة أصل أنا كلام في سرك مدمنة قهوة"

توجهتا إلى غرفة المعيشة، نظرت حولها بإعجاب

- "شقتك حلوة أوي"

-"دي شقة ماما، تصدقي الشقة دي ليها حكاية غريبة معانا، أصلًا مكانش في بالنا نشتري شقة في اسكندرية لولا تعب ماما ومتابعتها المستمرة مع الدكتور هنا، الله يرحمها كانت علاقتها غريبة أوي بالبلد دي"

-"الله يرحمها حبيبتي"

حدثتها بقلق

-"انتِ باين عليكِ الإرهاق أوي تحبي نأجل مشوار النهاردة"

-"لا بالعكس يمكن محتاجة خروجة النهاردة أكتر من أي وقت فات"

-"حصل حاجة بينك وبين يوسف تاني ضايقتك"

-"لا لا أبدا، إنما طليقي جالي هنا امبارح وعاوزنا نرجع لبعض"

-"ترجعوا، وانت ايه رأيك؟"

-"لا معتقدش إني بقى عندي طاقة لحبه، زياد استنزف كل رصيده معايا، وخايفة انه يكون استنزف رصيد الحب في حياتي"

-"ليه بتقولي كدا، انت لسه صغيرة"

-"معدش حاجة اسمها صغيرة وكبيرة، التجارب دلوقتي هي اللي بتقيس السن"

وأخذت تقص عليها ما حدث وارتباطها بزياد وخيانته لها وغيره حتى زيارته الليلة الماضية أردفت شريفة بانفعال

- "الندل الجبان وبعد دا كله جايلك وليه عين"

أردفت في حيرة

-"أنا مبقتش عارفة أعمل ايه يا شريفة، بقيت بتعمد أؤذيه بكلامي عشان يسيبني في حالي"

-"تحبي أكلملك يوسف"

-"لا أرجوكِ أنا مش عاوزة مشاكل"

-"هو له طريقته هيخليه يسيبك في حالك"

-"شريفة أرجوكِ متخلنيش أندم إني حكيتلك حاجة"

-"خلاص خلاص من غير ما تضايقي"

-"أنا هدخل البس سريعًا على ما تخلصي قهوتك"

-"خدي وقتك، اليوم بتاعنا"

انطلقتا،كان يومًا حافلًا زارتا العديد من الأماكن ولعبت شريفة دور المرشد السياحي فتنقلتا من مكان لآخر في حماس، استمتعتا كثيرًا برفقة بعضهما البعض وأخذتا جولة بحرية وبعدها استقرتا بإحدى المحال للعشاء .لم تقم توليب بمثل هذه الزيارات من قبل فقد كانت في قمة انبهارها وهي تتنقل بين الأماكن، بعد انقضاء الوقت في التجول والانتقال من مكان لآخر، أوصلتها شريفة لمنزلها فشكرتها توليب بصدق

- "كان يوم بجد رائع أنا مش عارفة أشكرِك ازاي"

أجابتها شريفة بحماس

- "طالما انبسطي يبقى نكررها"

ضحكت توليب

-"أكيد طبعًا يا سيادة المرشدة السياحية لازم نكررها"

-"يلا حبيبتي تصبحي على خير"

فور أن وطأت قدماها المنزل حتى تناهى إلى سمعها صوت هاتفها النقال فأجابت مسرعةً

-"بابا وحشتني "

-"وانت كمان يا توليب، ها طمنيني عليكِ"

-"أنا كويسة مش ناوي تيجي يومين اسكندرية"

-"قريب حبيبتي.. قريب"

-"قوليلي" وتنحنح قبل أن يسأل "هو زياد جالك؟"

-"بما إن حضرتك بتسأل يبقى حضرتك اللي عرفته مكاني"

وسألته لائمة "دا اللي احنا اتفقنا عليه يا بابا؟"

-"أنا قلت يا حبيبتي بما إني عارف علاقتك بيه كانت عاملة ايه أديه فرصة"

-"مفيش مجال يا بابا للحياة بيني وبينه جالي امبارح وأنا قلتله يبعد عني"

-"انت متاكدة من مشاعرك يا توليب"

-"أيوه متأكدة يا بابا، أنا خلاص وجوده من عدمه معدش بيأثر فيا أنا كل اللي عاوزاه يطلع من حياتي ويسيبني"

-"متقلقيش حبيبتي" وغير دفة الحديث حتى يجنبها ذكر زياد "أحوال الشغل إيه؟"

-"مجهدة بس مبسوطة متقلقش عليَّ بنتك ادها، صحتك عاملة ايه؟ مش هتسمع الكلام وتيجي تقعد معايا وتغير جو"

-"متبقيش لحوحة يا توليب أنا كويس متقلقيش عليَّ عمتك على طول معايا وشايفة طلباتي ودايمًا ياسين ابن عمتك ومراته بيعدوا علينا وواخدين بالهم مني"

-"ماشي يا بابا زي ما حضرتك حابب أهم حاجه تاخد بالك من نفسك"

"حاضر حبيبتي وانتِ كمان في رعاية الله"

-"مع السلامة يا بابا"

بعد أن أنهت حوارها أخذت حمامًا دافئًا ثم ارتمت سابحة في حضن سريرها كي تستشعر دفئه وتغوص في سبات عميق بعد يوم مجهد وممتع

ولكن أفكارها منعتها في بادئ الأمر فأخذت تتذكر تلك المقولة لألبير كامو كاتبها المفضل

-"الانسحاب من حياة بعض الأشخاص لا يعني دائما الاستسلام بل غالبًا يعني أنك صمدت طويلًا من أجل شيء لا يستحق"

نعم فهي صمدت طويلًا من أجله تغاضت عن إهماله لها بحبها إياه مبررة كل أفعاله في حقها رغم أنها لم تتوانَ عن تقديم تضحيات لاستمرارها بقربه وبجانبه ضحت بأمومتها وفنها وبالكثير من أجله وهو لم يتوانَ في كسرها، حتمًا لن تعود وهذا قرارها النهائي.

"وقد يأتي أحدهم خفيفًا يطفو بجانبك في كل هذا الغرق كجذع شجرة يصلح للنجاة"

جلال الدين الرومي

الفصل الخامس

انقضى أسبوع ولم يظهر زياد حمدت الله على أنه أخيرًا تركها ومضى في حال سبيله إلا أنه فاجئها في مكتبها بالشركة وكانت هي كعادتها منكبة على أوراقها

-"توليب"

انتفضت من مجلسها قائلة في ذهول

- "زياد!؟"

وأردفت باستغراب

-"انتَ ايه اللي جابك هنا وعرفت طريقي منين"

أجابها ساخرًا

-"اللي يسأل ما يتوهش وبعدين مش ملاحظة انك بقيتي بتسألي نفس السؤال كل ما بتشوفيني"

حدثته نافذة الصبر

-"هو احنا مش اتفقنا انك تسيبني في حالي"

-"انتِ عارفة ان دا مستحيل، لإنك حالي"

زفرت في حنق

- "انت عاوز مني ايه احنا مش انتهينا خلاص"

-"لا منتهيناش"

اقترب منها قائلًا

-"أنا لسه عاوزك"

-"وأنا حكايتي خلصت معاك خلي عندك كرامة وسيبني في حالي ومن فضلك اخرج دا مكان عمل"

-"أنا.."

وكاد أن يقول شيئا لولا أن ظهر يوسف على باب مكتبها حدثها دون أن يدخل غير ملاحظ لذلك الزائر الغريب قائلًا

-"توليب خلصتي الورق اللي ادتهولك؟"

وخطرت في بالها فكرة فور أن رأت يوسف ولم تعطِ لنفسها المجال أن تفكر في فكرتها الحمقاء، التي تعلم كل العلم أنها ستندم على ما ستفعل إلا أنها لم تجد لها مناصًا من تنفيذ فكرتها

اتجهت نحو يوسف قائلة

-"يوسف حبيبي الورق خلاص خلص أنا كنت جايالك حالًا"

ومسكت يده وتوجهت نحو زياد

-"زياد أحب أقدملك بشمهندس يوسف صاحب الشركة وخطيبي"

بُهت الاثنان من حديث توليب إلا أن يوسف تدارك الموقف سريعًا وتوجهت إلى يوسف بالحديث وعلت ملامحها نظرة اعتذار

-"يوسف أقدملك أستاذ زياد صديق قديم و.."

قاطعها زياد بملامح باهتة محاولًا تجميع أفكاره المتضاربة

- "وطليقها"

فهم يوسف الموقف واستغل ما قدم له على طبق من ذهب إذ اقترب من توليب واضعًا يده حول خصرها مقربًا إياها نحوه

- "أهلًا زياد بيه فرصة سعيدة"

أشفقت وقتها على زياد إذ بدا عابس الوجه ولكنه لم يكن ليتركها إلا بهذه الطريقة

نظر زياد نظرة معاتبة لتوليب قائلًا

-"مبروك توليب مبروك يا بشمهندس"

وانسحب قائلًا

-"بعد إذنكم"

أجابه يوسف الذي بدا أنه مستمتع بهذا الوضع

- "اتشرفت بمعرفتك زياد بيه"

ما إن خرج زياد حتى ابتعدت عنه توليب، توجه بالحديث إليها ورسم على وجهه ملامح الغضب المستعارة

-"ممكن أعرف ايه اللي انتِ قولتيه دا؟"

ارتبكت إذ كان في نيتها أن تعنفه عن اقترابه منها بهذه الطريقة خاصة أمام زياد إلا أنه قلب الوضع وجعلها في حاجة لتبرير تصرفها

أجابته متلعثمة

- "بشمهندس يوسف أنا آسفة حقيقي بعتذر إني أقحمتك في الموضوع دا بس هي دي كانت الطريقة الوحيدة عشان يسيبني في حالي، خاصة إنك ظهرت قدامي فجأة ومكنش فيه قدامي غير الحل دا"

حرك رأسه كدليل على تفهمه وأردف وهو يستند على مكتبها

- "وهتعملي ايه دلوقتِ بعد ما عرف إنك مخطوبة"

-"هعمل ايه يعني مش هعمل حاجة أهم حاجه عندي انه كان يسيبني في حالي وميتعرضليش"

أردف

- "يعني مفيش أمل لرجوعكم؟"

أجابته بإصرار

-"إطلاقًا"

أجابها وهو يتخذ له مقعدا ويشعل سيجارة

- "يعني تفتكري انه مش هيبلغ والدك"

-"بابا !"

أجابت وباتت عواقب حماقتها وشيكة

-"يا الله أنا مجاش في بالي انه ممكن.. تفتكر انه ممكن.."

وقطعت جملتها وجلست على أقرب مقعد منها

- "انه ممكن يبلغ بابا أو.. يا الله.. أنا ايه اللي عملته دا"

-"تاخدي بنصيحتي"

نظرت إليه نظرة الغارق الذي تعلق بطوق نجاة دون أن تتحدث

-"بدأتي حاجة كمليها.. وأنا معنديش مانع أساعدك"

-"تقصد ايه؟"

-"أقصد إن احنا فعلًا نعلن خطوبتنا ،يعني أتقدم لوالدك بجد نقعد فتره مخطوبين هتنقذي نفسك من الورطة اللي دخلتي نفسك فيها قدام والدك"

نظرت إليه بشك قائلة

- "طيب وانتَ هتستفاد ايه من دا كله؟"

-"لو تفتكري انتِ اللي حطتيني في الحكاية دي غصب عني"

أجابته معتذرة

- "أنا آسفة بجد غصب عني مكنتش معتقدة ان الوضع ممكن يكبر"

أردف غير مبالٍ لاعتذارها

-"مساعدتي ليكِ هتكون وسيلتي للإعتذار منك لاني شكيت فيكِ في موضوع الشركة الفرنسية.. بالمناسبة احنا عرفنا مين اللي دخل مكتبي وفتح أوراقي وشاف العروض"

وأردف وهو ينفث سيجارته، موظفة كانت لسه متعينة قريب في مكتب السكرتارية

-"وعرفت منين الكلام دا"

نظرت إليه متسائلة

أجاب ببرود

-"مش مهم عرفت من فين المهم اني عرفت وخلاص"

-"أقصد يعني حضرتك متأكد المرة دي"

نظر إليها بغضب

أجابت وقد فهمت الرسالة

-"طيب طيب، وعملت معاها ايه"

-"اكتفيت بطردها مع اني المفروض كنت احبسها"

قالت "تحبسها" كررتها ببلاهة غير مصدقة أن هذا التصرف قد ينتج منه

-"علي العموم أنا عملت اللي كان لازم يتعمل"

حدثها وقد بدا نافذ الصبر

-"ها قولتي ايه"

أجابته مفكرة

-"مش عارفة" وبدت في حيرة من أمرها إلا أنها قالت "بما إني ورطتك وورطت نفسي مفيش قدامنا غير كدا"

-"تمام ظبطي أمورك وبلغيني أنا في مكتبي"

خرج وأغلق خلفه الباب، ارتمت على مقعدها محدثة نفسها

-"ايه اللي أنا عملته في نفسي دا"

ما إن دلفت شقتها حتى رن هاتفها النقال، امتقع لونها حينما رأت رقم والدها على شاشة الهاتف

جلست وأخذت نفسًا عميقًا لتهدئ من روعها والتقطت الهاتف

-"الو بابا عامل ايه"

-"ايه اللي زياد بيقوله دا؟"

-"زياد قال ايه"

حدثها معاتبًا

-"انتِ اتخطبتي يا توليب من غير علمي، انتِ عارفة ان أنا معنديش اعتراض على أي موضوع ليكِ إنما أعرف كأني غريب دي كبيرة أوي"

تنحنحت وقالت

-"طيب ممكن تديني فرصة أشرحلك الوضع أنا كنت هقولك بس زياد لقيته عندي في المكتب و.."

قاطعها قائلًا

-"سيبك من زياد دلوقتي فهميني الحكاية هو مين والحكاية دي حصلت امتي"

-"يا بابا يوسف لسه متقدملي يعني أنا كنت هروح أكلمك لكن لقيت زياد عندي في المكتب فعشان أقفل عليه أي أمل في موضوعي معاه قولتله لكن طبعًا يوسف هيجيلك ويطلبني منك"

-"اه"

-"أرجوك يا بابا متزعلش مني انت عارف أي حاجة إلا زعلك"

-"خلاص يا توليب خلاص"

-"ايه حكاية أستاذ يوسف دا كمان، زميلك في الشغل؟"

-"هو مش زميلي، إنما صاحب الشركة اللي بشتغل فيها"

-"طيب مستني تليفونك تبلغيني بميعاد زيارته"

-"بابا أرجوك متزعلش مني لولا زياد أنا كنت كلمتك بنفسي حضرتك عارف"

-"أيوه عارف توليب عارف خدي بالك من نفسك"

-"مع السلامة"

منذ أن رأت شريفة توليب حتى ارتأت أنها ويوسف يشكلان ثنائيًا جيدًا أرادت أن تراه مستقرًا مرة أخرى وألحت عليه بالزواج خاصة بعدما علمت بشأن مرضها الذي لم تخبر به أحدًا إلا أنه رفض بشدة فكرة الزواج في هذه المرحلة، أحبت توليب واستكانت لها كثيرًا فملامحها الرقيقة والحالمة أسرت قلب شريفة، عملت على التقرب من توليب فوجودها بحياتها أنقذها من وحدتها المزعجة، عملت على إظهار مواطن الجمال في شخصية كل منهما للآخر

اقتربت من توليب مازحة

-"ها ايه رأيك تعيشي يوم مختلف"

-"يوم مختلف؟ بعد الساعة خامسة!؟" ضحكت "دا يوم منتهي"

ابتسمت

-"لا ما أنا هطلب مساعدتك بشكل رسمي"

-"ايه دا أنا مش فاهمة حاجة شريفة حبيبتي انتِ بتقولي ألغاز"

غمزت إليها بعينها

-"حضري بس نفسك هننطلق الساعة ١١"

أدت لها تحية عسكرية بشكل مازح

-"تمام يا قبطان أنا جاهزة من دلوقتي لو حابة مع إني مش عارفة ولا فاهمة أنا جاهزة لإيه إلا إني جاهزة"

انشغلت بأوراقها، لم تكن قد التقت بيوسف ذلك الصباح مما أزال عنها توترها لرؤيته وخاصة بعد أن سببت لنفسها الإحراج بتهورها وحماقتها.

نظرت إلى ساعتها وجدتها الحادية عشر جهزت حاجياتها وانطلقت نحو شريفة، رأتها شريفة تتقدم صوبها فقالت

- "أنا جاهزة يلا توليب"

-"مش هتقوليلي رايحين فين"

أجابتها

- "هنشتري شوية حاجات ضرورية ونروح دار رعاية للأطفال وبما إنك موجودة حبيت أتكل عليكِ شوية لاني بصراحة حاسة بتعب فمش هعرف ألف"

-"دار رعاية للأطفال انتِ جميلة أوي وطيبة أوي"

-"احنا كل يوم أربع من كل أول شهر بنروح الدار من أول اليوم، زي ما هما محتاجين لينا احنا كمان محتاجين ليهم"

لم تنتبه توليب للفظ شريفة كلامها كان بصيغة الجمع

- "لو تسمحيلي خليني معاكِ أساعدك في اليوم دا بصفة مستمرة، أنا كان نفسي أعمل حاجة كدا من زمان لكن ظروف ارتباطي بزياد مسمحتليش أعمل حاجات كتير"

أنّبتها قائلة

- "مش قلنا ننسى اللي فات، أنا كنت واثقة انك هتطلبي مني كدا نظرتي متخيبش أبدًا، تصدقي انتِ فيكِ كتير من يوسف"

-"ليه بتقولي كدا؟"

-"يمكن عشان بحبكم انتوا الاتنين"

ابتسمت ثم سألتها محاولة لتغيير الموضوع

-"ها قوليلي ايه المطلوب مني أشتريه" أعطتها ورقة بالمشتريات أمضتا ساعة تتبضعان ثم اتجهتا للدار فور الانتهاء من الشراء

خفق قلبها بشده لرؤية الأطفال ورحبت بهم مشرفات الدار واتضح أن مشرفات الدار يحبون شريفة كثيرًا فكانت تتحرك بحرية وتناغم وكأنها فرد منهم، كذلك الأطفال فرحوا كثيرًا برؤيتها وتجمهروا حولها ضحكتا كثيرًا ولعبتا مع الأطفال وبدا الجميع يستمتع بوقته.

نادتها شريفة

- "يلا وقت العمل جه على المطبخ"

توجهتا إلى المطبخ والابتسامة لم تفارق ثغرهن وما إن رأتهما إحدى العاملات حتى أعطتهما مريولًا .

--"ايه دا كمان شيفات" نظرت إلى شريفة مازحة "احنا متفقتاش على كدا"

-"لا حبيبتي احنا مساعدات شيف"

-"اها كدا أنا اتطمنت الأطفال دول حرام يتعذبوا بأكلي"

ضحكتا سويًا إلى أن تدخل يوسف وقد اقترب منهما مازحًا "المطبخ نور بس الله يكرمكم مش عاوز حوادث فردية" اعتاد قلبها على النبض سريعًا حينما يقترب

اقتربت توليب من شريفة هامسة

- "هو بشمهندس يوسف بييجي معاكِ؟ انتِ ليه مقلتيش؟"

-تصحيح بسيط "أنا اللي باجي مع البشمهندس، وبعدين المكان دا مكانه، والده الله يرحمه كان صاحب الدار هو اللي اتبرع بالأرض والبناية" نظرت إليه وبدا أنه كان قد انهمك في إعداد لوائح الطعام أشار لهن بأن تتبعانه، وعملن في تناغم استأذنت منهم شريفة "بما إن معاك توليب استريح أنا شوية"

تابعتها بنظرها حتى خرجت، كان وجودها يزيل جو التوتر الدائم بين الاثنين، زمت شفتيها وعادت للعمل، لاحظت أنه ينظر إليها حدثته

-"أحب أقولك إني طباخة خايبة جدًا"

ضحك محاولًا تقليد جملتها

-"متقلقيش أحب أقولك ان أنا طباخ شاطر جدًا، بس أنا حقيقي قلقان على شريفة، أول مرة أشوفها تعبانة بالشكل دا"

-"حتى أنا لاحظت إنها بتتعب كتير الفترة الأخيرة وبتحاول تداري تعبها"

-"شريفة إنسانة قوية، مبتحبش حد يشوف ضعفها"

انهمكا في إعداد الطعام وبعد أن انتهيا لحقا بشريفة في الخارج وانشغلا مع الجمع بإعداد الموائد لاستقبال الأطفال تعلق أحد الأطفال بتوليب وأصبح يتبعها أينما ذهبت فحملته وأجلسته بين ذراعيها، تحركت بداخلها عاطفة الأمومة، شردت بأفكارها لم تفهم أبدًا كيف يجرؤ أحد على ترك تلك الملائكة بهذا الشكل مهما كانت الظروف أو المعاناة، لم تجد مبررًا

لتشويه براءة هؤلاء الأطفال، جلس بجانبها وعقد ساعديه أمام صدره بدا لها أنه علم ما يدور بخلدها، تفاجأت حينما رد على سؤالها الذي لم يُسأل قائلًا

-"اللي مرات أبوه رافضة استقباله في البيت وبتعامله معاملة العبد، واللي أهله بيجبروه على السرقة أو التسول، واللي ملوش حد لا أب ولا أم واترمي قدام الدار، واللي اتسرق من أهله واترمي في الشارع بصراحة فيهم أهالي متستحقش نعمة الأولاد بنشتغل عليهم نفسيًا في الدار، بنحاول نخليهم أسوياء وسط مجتمع رافض وجودهم زي ما يكون اتحكم عليهم الرفض والإقصاء طول حياتهم"

تأثرت لحديثه

- "أنا حقيقي عقلي مش عارف يستوعب ازاي فيه ناس كدا، لو يعرفوا هم فايتهم كتير اد ايه"

-"دا حقيقي، مفيش حاجة في الكون تخلي الأب أو الأم يرموا ولادهم في الشارع، الشارع مبيرحمش كبير فما بالك بالورود الصغيرة دي"

سألته باهتمام

- "تفتكر دا راجع لإيه"

-"الفكر، الثقافة، الدين والأخلاق، معدش حد فيهم بيفكر في الحاجات دي، بحس إن الناس بقت عايشة وخلاص، لو تشوفي حالة الأطفال دي قبل ما ييجوا الدار وحالتهم دلوقتي هتعرفي إن في إيدينا إننا نغير كتير".

بعد أن أنهى الأطفال طعامهم التفوا حول يوسف الذي جلس في المنتصف وبدأ في سرد إحدى القصص، تأثروا بطريقة سرده وانفعلوا معه

حتى توليب اتخذت لها مكانًا حوله وبين الأطفال بدا جميعهم مستمتعون وانفعلت هي الأخرى بانفعال الأطفال، نظر إليها بإعجاب فابتسمت له بامتنان، شعرت بخفقان قلبها الشديد، تأكدت تلك اللحظة من تورط قلبها في حبه، أشار إليها كي تنضم إليه، انضمت إليه وجلست بجواره وساعدته في سرد القصة.

"إن الحب لا يمكن تفسيره، فهو يفسر كل شيء"

"جلال الدين الرومي

الفصل السادس

رن جرس الهاتف الخاص بيوسف وتناهى إلى سمعه صوت ابن عمه وصديقه آسر، جاء صوت محدثه

- "الو يوسف انتَ فين"

-"أهلا آسر أنا في البيت"

سأله آسر

- "ايه يا ابني ليه البيت في الوقت دا؟"

-"انت عارف مليش في الصرمحة زيك"

-"صرمحة! الله يسامحك وأنا اللي عندي ليك خبر بمليون جنيه ومرضتش استنى"

-"انت هتعيش الدور بجد، خير طمني"

-"لا طبعًا مش هقولك حاجة في التليفون، أنا داخل على البيت دقايق وتلاقيني قدامك"

-"طيب أنا منتظرك"

أشعل يوسف سيجارة وأخذ يتحرك في ردهة المنزل في قلق ذهابًا وإيابًا وبالفعل ما هي إلا دقائق وسمع جرس الباب

-"آسر أهلًا.. تعالى.. طمنّي فيه إيه"

وصمت ونظر إليه بشك قائلًا

-"لقيتها؟"

ابتسم آسر قائلًا

-"أيوه يا صاحبي لقيتها"

سأله يوسف بترٍو

- "ونور؟"

-"معاها"

ضم قبضة يده اليمنى وقربها من قلبه وهوى جسده بانفعال على المقعد القريب منه ،فور أن تمالك نفسه تحدث مرة أخرى سائلا إياه بلهفة

"شفت نور"

-"لا لسه بس أنا مش عاوزك تقلق احنا بقالنا كام سنة بندور والحمد لله ربنا هدانا لطريقهم، يوسف طليقتك وبنتك كانوا في بريطانيا و.."

ثم توقف لحظة نظر فيها إلى يوسف الذي كان مثبتًا نظره إلى قبضة يده واستطرد قائلًا

-"شهد اتجوزت"

رد باستغراب

- "اتجوزت؟"

-"مش دي المشكلة"

-"وهو ليه أصلًا يكون فيه مشكلة في جوازها انتَ عارفني وعارف ان أنا عمري ما هقف في طريقها أو آخد منها نور مش عشان اتطلقنا أبهدلها وأبهدل بنتي ببعدها عن والدتها، انتَ عارف مبدئي يا آسر تسريح بإحسان"

أجابه وهو يربت على كتفه

- "عارف يا يوسف عارف، وعارف انك متحمل فوق طاقتك، عشان كدا أنا بساعدك"

أضاف يوسف بحزن

-"أنا كل مشكلتي انها هربت ببنتي بعيد عني حرمتني من إني أشوف بنتي الوحيدة زي ما حرمتني من سمير، إنما اني أحرم شهد من حقها في تربية بنتها دي أبدًا"

-"أما تعرف مين هتراجع كلامك دا"

أخذ نفسا من سيجارته مجيبًا

-"آسر أرجوك أنا مش في وضع يسمحلي إني أحل ألغاز"

وفي تلك اللحظة رن جرس الهاتف الخاص بيوسف إلا أنه لم يلقِ له بالًا وتركه دون أن يجيب ولم ينتظر آسر المزيد فقال له وهو يراقب ملامح يوسف بحذر

-"حسين زهدي"

تجمدت ملامح يوسف وأعاد الاسم بصعوبة

- "حسين زهدي"

كرر الاسم وبدا كأنه من الصعب أن يصدق

-"حسين زهدي طيب امتى وليه.. ليه يا شهد.. ليه حسين زهدي بالذات"

عاد ونظر مرة أخرى إلى آسر سائلًا إياه وبدا كأنه يسأله حتى يَعدل عن كلامه

-"انت واثق من الكلام اللي انتَ بتقولهولي دا"

-"طبعًا واثق"

وأجاب مُضيفًا في محاولة منه لتخفيف وطأة الخبر

- "لو مأخدتش المعلومات الموثوق منها من ظابط هتاخدها من مين يعني"

لم يستجب يوسف لدعابته فأضاف بجدية

-"التحريات اللي عندنا واللي قدرت أوصلها بمساعدة زميل ليَّ في السفارة المصرية هناك أكدت نفس الكلام وبعتلي صورة من عقد الزواج وكمان في صديق في شرطة المطار وهو اللي بلغني بوصولها هي ونور، انت عارف يا ابن عمي على الرغم من إني اتنقلت الصعيد إلا إني مشغل معايا ناس للموضوع دا مخصوص"

عاد يوسف ليكرر الاسم حيث كان يجد صعوبة في التصديق

-"حسين زهدي يا آسر، بنتي أنا اللي يربيها حسين زهدي"

سأل آسر يوسف

- "انت طبعًا مش هتسيب بنتك لزهدي مش كدا؟"

انتفض صائحًا

- "لا طبعًا"

أشعل سيجارة وأخذ يفكر

-"أنا هطلب ضم البنت لحضانتي، لازم أضم البنت لحضانتي، لو شهد قبلت على نفسها فلوسه الحرام اللي كل البلد عارفة جايبها ازاي أنا مش هقبلها على بنتي فاهم يا آسر دا شيء مش هسمح بيه"

-"طيب، طيب أنا عاوزك تهدى،أنا هكلملك المحامي هو بردو زميلي وثقة وهحددلك معاه معاد وهيروح معاك عشان تعمله توكيل بس أهم حاجة ان محدش يعرف ان نور وشهد في البلد عشان ميحسوش باللي بنعمله فتاخد بنتك وتسافر والمرة دي طالما في نيتها الغدر من الأول مش هنعرف نوصلها تاني معايا يا يوسف"

نظر إليه متحدثًا بصدق واضعًا يده أعلي كتفه

- "آسر أنا مش عارف أشكرك ازاي"

-"متقولش حاجة نور دي بنتي ودمي اللي أحب انها تتربى في وسط عمامها وولاد اعمامها وأهلها"

-"كتر خيرك يا صاحبي"

-"أنا لازم أمشي المدام عارفة إني نازل أجازة وعلى تأخيري دا هتفتحلي سين وجيم"

أجابه يوسف

-"وانت طبعًا مش هتغلب"

-"سيبها على الله هكلمك بكرة عشان نخلص موضوع المحامي"

-"تمام على معادنا"

وخرج آسر وتركه مع صراعه، صراع أفكاره العاصف والتي لم تهدأ يومًا عقب هروب شهد بابنته، عاد هاتفه للرنين مرة أخرى ولكن تلك المرة لم يتحمل رنينه فألقى به في عرض الحائط محطمًا إياه بكُل ما أوتيَ من قوة

أسندت توليب رأسها على كرسيها الهزاز أخذت تحركه بهستيرية، أغمضت عينيها إنها المرة الأولى والوحيدة التي كذبت فيها على والدها، انتابها شعور بالذنب، حدثت نفسها

- "الله يسامحك يا زياد انت السبب"

أحست بحاجتها للرسم شعرت بحنين لفرشاتها وألوانها فالرسم هو سلواها الوحيد القادر على إخراجها من جو التوتر، اتجهت إلى الغرفة التي أعدتها كمرسم ارتدت بنطال جينز خاص بوالدتها ترتديه هي دائمًا كعادة خاصة بها للرسم لونه أزرق ملطخ بألوان الفرشاة وما إن بدأت بالرسم حتى رن جرس هاتفها نظرت إلى شاشته فعلمت أن المتصل هو شريفة

أجابت بصوت مرح

-"الو شريفة"

-"توليب الحقيني أنا في البيت وسمعت صوت ارتطام"

حدثتها بذعر

-"شريفة فيه ايه شريفة"

ولم تتلق ردًا،حاولت الاتصال بيوسف لكنها لم تتلق ردًا منه، انطلقت إلى منزل شريفة أخذت تطرق الباب طرقات عالية علها تُجيب لكن لم تتلق ردًا، استدعت حارس العقار الذي بدوره حاول كسر الباب ولكنه لم

يفلح، سمعت جارتها القاطنة بالدور العلوي لشريفة محاولات كسر الباب وصوت توليب وهي تنادي على شريفة فنزلت فورًا معلنة أن لديها نسخة من المفتاح الخاص ببيت شريفة وما إن فتحوا الباب حتى وجدوها ملقاة على الأرض هرعت إليها توليب

- "شريفة ردي عليَّ"

حدثت البواب

- "أرجوك ساعدني ننزلها العربية"

ساعدها حارس العقار بالإضافة إلى رجلين آخرين في حمل شريفة وانطلقت، أخذت تدعو الله أن لا يصيبها مكروه "أرجوكِ يا شريفة كوني كويسة" توجهت بها إلى أقرب مشفى ساعدها المسعفين في حمل شريفة وقاموا بعمل إسعافات أولية لإسعافها وراقبت توليب من بعيد فلم يُسمح لها بتجاوز الغرفة أخذت تتذكر لحظات أمها الأخيرة وأجشهت في البكاء رغمًا عنها ،ها هي مرة أخرى تعيش الصراع الأبدي بين الحياة والموت اللحظات الحرجة الفارقة في حياة الكثيرين لحظات الألم والحزن والدموع وضعت رأسها بين يديها وهي تحاول السيطرة على عبراتها دون جدوى .

-"توليب ايه اللي حصل"

أتاها صوت يوسف وهو يكاد يقترب في قلق شديد

نظرت تجاه صوته وهرعت إليه استقرت بين ذراعيه حاول طمأنتها

-"أرجوكِ اهدي"

أخذت تتحدث بعصبية وعبراتها تنهمر على وجنتيها واختلط صوت نحيبها بأنفاسها المخنوقة "أنا اتصلت بيك كتير بس انت مردتش، معرفتش أعمل ايه بعد ما كلمتني قالتلي الحقيني ومرة واحدة صوتها راح رُحتلها بسرعة حاولت أخبط عليها وحاولنا نكسر الباب، أما فتحنا الباب لقيتها مرمية على الأرض جبتها على هنا" انتظرت لحظه حتى تأخذ أنفاسها واستطردت

-"محدش قال لي حاجة من ساعة ما دخلت ICU أنا خايفة يا يوسف أنا خايفة أوي عليها" ضمها بين ذراعيه قائلًا "ششش، اهدي أرجوكِ، أنا موجود اطمني، تسمحي تقعدي هنا لحد ما أشوف حد من الدكاترة"

أومأت برأسها، بعدما أجلسها توجه للحديث مع أحد أطباء وحدة العناية المركزة

-"يا فندم الوضع كان خطير أزمة قلبية حادة واضطرينا للتدخل الجراحي السريع عشان نحافظ على حياة المريضة ودا كان الحل الوحيد المتاح"

أومأ برأسه وهو يتابع حديث الطبيب قائلًا

-"يعني هي بخير دلوقتي ولا الخطر لسه موجود؟"

أجابه الطبيب

-"اللي عملناه بفضل ربنا إننا حافظنا على حياتها الساعات الجاية هي أخطر من العملية وبردو منقدرش نجزم بأي حاجة دلوقتي محتاجين نعدي ال ٢٤ ساعة الجايين وإن شاء الله نأمل من الله إن الخطر الحقيقي يزول، الله أعلم بالنتيجة كانت هتكون إيه لو اتأخرتوا في إنكم تجيبوها"

شكر يوسف الطبيب وعاد ليجلس بجوار توليب كانت قد هدأت قليلًا فطمأنها

- "خلينا ندعي إن الأمور تكون طيبة محتاجين نعدي ال ٢٤ ساعه الجايين" ثم أردف وهو ينظر في اتجاه غرفة العناية بصوت مخنوق "أزمة قلبية حادة"

جلس الاثنان قرابة الساعة وأعينهم مثبتة على غرفة العناية، بدا يوسف متماسكًا أغمض عينيه بشدة كمن يحكم على عبراته العزيزة بعدم الخروج، انتفض كلاهما مع فتح غرفة العمليات اتجه أحد الأطباء صوبهم قائلًا

-"الحمد لله العملية ناجحة بس هتستنى في العناية لحد ما تفوق بالسلامة ونطمن إن صحتها تستحمل إنها تخرج من العناية"

سألته توليب بلهفة

-"هي فاقت يا دكتور؟"

-"لا طبعًا لسه" ونظر إلى يوسف وهو يحدثها "أنا فهمت البشمهندس كل حاجة بعد إذنكم"

عادت لتجلس مرة أخرى لكن يوسف استأذنها للحظات

سألته بقلق

- "رايح فين، متسيبنيش"

-"متقلقيش دقايق وراجع"

جلست وأغمضت عينيها كان حالها يرثى له وجهها مجهد وشعرها الأسود منسدل على كتفيها وأضاف لها بنطال الرسم خاصتها شكل

عفوي، عاد بعد دقائق كما وعد كانت الساعة تقترب من الثالثة بعد منتصف الليل، ما إن جلس بجوارها حتى فتحت عينيها

مد يده بكوب تفوح منه رائحة تعشقها قائلًا

- "جبتلك قهوة"

اعتدلت في جلستها

- "مش عارف اد ايه أنا محتاجاها"

رسم على وجهه ابتسامة

-"لا ما أنا عارف حكاية إدمان القهوة"

نظرت إليه باندهاش ثم لانت ملامحها حينما تذكرت وقالت مبتسمة

-"شريفة"

أومأ برأسه، بدأت بارتشاف القهوة، وصمتا قليلًا، ثم تسائل وهو ينظر إلى بنطالها قائلًا

-"هو انت كنتي بتعملي ايه أما شريفة كلمتك؟"

نظرت إلى بنطالها وأضافت بحرج

- "كنت في المرسم"

-"المرسم؟!"

-"اه أنا عملالي أوضة في الشقة مرسم"

-"ايه دا بجد بترسمي! غريبة"

-"ليه غريبة؟ لعلمك أنا ليَّ أعمال كتيرة جدًا، وعملت معارض بس فترة جوازي وقفت كل حاجة، لأن زياد مكنش بيحب ريحة الألوان" أسندت ظهرها على المقعد وعقدت ساعديها أمام صدرها ثم أردفت "هتصدقني لو قلتلك انه الوحيد اللي مكنش شايف موهبتي وشايف ان رسوماتي مجرد عبث أو هدر للوقت، عمري ما سمعت منه كلمة تشجيع، حتى من قبل الجواز كان دايمًا بيستخف بشغلي أنا ازاي مكنتش شايفة دا كله"

-"يمكن عشان بتحبيه الحب بيعمي عيوننا وقلوبنا عن حاجات كتير توليب"

-"يمكن عشان كنت بحبه، الواحدة يوم ما تحب بتحب من كل قلبها، لكن يوم ما يتغدر بيها بتبيع ومبتبقاش على أي حاجة"

-"لسه بتحبيه"

-"لأ طبعًا، زياد انتهى من حياتي من يوم ما بعتلي ورقة الطلاق، وهوخرج من حياتي تمامًا، عارف أنا أما آجي أفكر في الخمس سنين اللي فاتوا بحس إن اللي كانت مع زياد مش توليب اللي أنا أعرفها، دي كانت واحدة تانية غريبة عليَّ، بس دا كله انتهى خلاص"

-"تسمحيلي أسأل مين توليب اللي انتِ تعرفيها؟".

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تجيبه

- "واحدة طموحة بتحب الحياة حدودها السما الزرقا، عندها حلم إنها تكمل مشوار مامتها اللي مكملش في الفن، كانت ماما دايمًا تقول لي أصدق المشاعر بترسم بالفُرشة وتتأكد بالألوان".

-"انتِ عارفة ايه الغريب اللي بجد يا توليب، إني فعلًا حاسس إني شفتك وأعرفك من قبل ما نشتغل سوا،حتى صوتك أنا سامعه قبل كدا بس معرفش فين، حاجه غريبة مش كدا، أنا عارف ان كلامي مش منطقي بس دا حقيقي اللي حاصل"

تذكرت لوحتها المعروضة في غرفة مكتبة ،همت بسؤاله عنها إلا أنه قد استوقفها اقتراب أحد الأطباء منهم قائلًا

- "مدام شريفة مش هتخرج دلوقت من العناية من الأفضل انكم تروحوا تستريحوا وتناموا شوية"

أجابه يوسف بتفهم

- "حاضر يا دكتور"

ثم وجه حديثه إلى توليب

- "سمعتي الدكتور قال ايه، أنا شايف ان الوقت متأخر لو تحبي أوصلك البيت"

قاطعته

-"أنا هستنى مع شريفة ودي مفيهاش نقاش"

-"اسمعيني بس هي تحت الملاحظة ومش هتخرج من العناية دلوقت زي ما الدكتور قال معانا ٢٤ ساعة واحنا وجودنا دلوقتي مش هيفيد"

بدا كلامه منطقيًا

-"طيب أما تفوق ومتلاقيش حد جنبها؟"

"وجودنا مش هيفيدها بأي حاجة وهي نايمة، محتاجين نستريح عشان نعرف نقعد معاها بكرة أما تفوق، وبعدين متقلقيش هسيب أرقامنا عشان لو فيه أي حاجة وإن شاء الله الأمور تكون طيبة، الفكرة انك تستريحي اليوم كان طويل ومجهد عليكِ" اقتنعت بحديثه، طلب منها مفتاح سيارتها، وأوصلها حتى منزلها وعاد هو إلى المشفى لينتظر وينتظر، استطاع أن يقنع توليب أن تعود أدراجها لكنه لن يثنيه أحد عن ترك شريفة وحدها بالمشفى لن يسامح نفسه إذا حدث لها مكروه، لقد حاولت شريفة الاتصال به لكنه لم يجيب اتصالها، لم يكن هناك حينما احتاجته، لم يُلبِ نداءها، لن يسامح نفسه أبدًا

جاءته توليب صباح اليوم التالي وتفاجأت بوجوده، علمت أنه لم يذهب إلى منزله منذ الأمس فملابسه كانت ذاتها التي كان يرتديها الليلة السابقة، لكنها لم تعلق، تعرف مدى ارتباطه بشريفة، بدا على ملامحه الإرهاق الشديد.

-"صباح الخير يا بشمهندس، أخبار شريفة ايه؟"

نظر إليها مطولًا قبل أن يجيب "صباح النور" واعتدل في جلسته "مفيش جديد"

سألته "فطرت؟"

أجاب بالنفي

-"تحب نفطر سوا؟" وأضافت

-"وأنا جاية لقيت فيه مطعم صغير قريب من المستشفى تقريبًا تلات دقايق مشي ها إيه رأيك"

أجاب وهو يفرك وجهه بيده

-"أوك مفيش مانع، أنا محتاج أفوق"

مشيت بجواره بدا منهكًا كأنه يحمل حملًا ثقيلًا على كاهله وبدا لها وكأنه على وشك الانفجار، ما إن خطوا خارج المشفى حتى أشعل سيجارة وأخذ يدخنها بشره، سبحت أفكاره في ابنته وطليقته وحسين زهدي، توجها إلى مطعم صغير على زاوية المشفى، جلس يوسف على أقرب طاولة بينما ذهبت توليب لإحضار القهوة وشطيرتين، حدثته وهي تجلس قبالته قائلة

-"هتموت نفسك بسرعة بالسجاير دي"

لم ينتبه لحديثها

نادته "يوسف"

نظر إليها معتذرًا قائلًا

-"بتقولي حاجة"

أردفت بابتسامة تعاطف

- "كنت بقول كفاية سجاير إحنا لسه أول النهار حرام عليك صحتك"

زم شفتيه بامتعاض، ولم يُجب، اكتفى بالنظر إليها

شعرت بالحرج من نظراته وتوردت وجنتاها رغمًا عنها

-"إني أطلع غضبي في حرق السيجارة أأمن ، على الأقل مش هؤذي حد غيري"

شعرت توليب أن هناك خطب ما ينتابه واستشفت أنه قد يكون له علاقة بشريفة لم تكن جازمة باعتقادها نظرت إليه قائلة

-"انت فيه حاجة بخصوص شريفة مخبيها عليَّ"

نظر إليها باهتمام قائلًا

-"ايه اللي خلاكِ تقولي كدا"

-"مجرد إحساس"

-"أبدًا أنا بس بفكر، عندي مشوار مهم مينفعش يتأجل ولازم أروحه"

أجابها وهو على وشك أن يشعل سيجارة أخرى إلا أنها استوقفته

-"أرجوك بلاش سجاير" بقيت في يده دون أن يشعلها وأخذ يرتشف من القهوة دون أن يتحدث

-"طيب وايه المشكلة خلص مشوارك وأنا هكون جنب شريفة متقلقش ويا ريت لو تنام شوية انت مواصل من امبارح وشكلك مرهق جدًا"

-"صدقيني مش هعرف أغمض عيني وشريفة في حالتها دي ولولا ان المشوار دا ضروري مكنتش اتحركت من جنبها هي نفسها هتفهم إني كان لازم أعمل المشوار دا"

قال وهو يعدو مبتعدًا عنها "شكرًا على القهوة" وأشعل سيجارة سمعته يتحدث في الهاتف "أيوه يا آسر انتوا فين".

بعد أن أنهت إفطارها توجهت إلى المشفى لتفاجأ بإفاقة شريفة وأنه تم نقلها إلى غرفتها، استقبلت الخبر من الطبيب بسعادة تامة حمدت الله وشكرته على استجابته لدعاها، ذهبت إلى غرفتها، توقفت برهة وهي

تنظر إلى ذلك الجسد المتمدد على السرير أمامها شعرت بها شريفة فنظرت إليها وهي تحاول أن ترسم على وجهها ابتسامة فجثت توليب بقربها قائلة بصوت هامس

-"حمد الله على سلامتك، كدا تخضينا عليكِ"

أومأت برأسها وهمهمت بكلام غير واضح المعاني، ففهمت توليب عدم قدرتها على الكلام، عادت شريفة تتطلع خلف توليب كأنها تبحث عن شخص ما، أدركت توليب أنها تبحث عن يوسف فقالت لها بصوت خافت

-"كان بايت في المستشفى من امبارح ومكنش راضي يمشي لسه ماشي حالًا قال انه عنده مشوار ضروري وكمان قال انك أول ما هتعرفي المشوار دا ايه هتتفهمي"

أومأت برأسها مرة أخرى وأغمضت عيناها باستسلام

جلست بجوارها، شعرت لوهله بأنها تجالس أمها، أخذت تتفحص ملامحها الرقيقة، أحبت ذلك الشعور واستكانت بقربها، شعرت برغبة في الاحتفاظ بملامحها فقررت أن تكون شريفة هي موضوع لوحتها التالية فهي لن تجد أجمل من ذلك الوجه لترسمه، أرادت أن تحتفظ لها بصورة، أخرجت قلمًا وورقة من حقيبتها وبدأت ترسم خطوط وجهها في استغراق تام، تقدم منها يوسف ولم تشعر به أخذ يتأمل كلتاهما، اقترب منها وربت على كتفها فأجفلت وهبت واقفة

تنحنحت لفعلها الطفولي وأردفت

- "انتَ هنا من امتى"

أردف بابتسامة لتوترها بصوت خافت

-"من زمان، على فكرة الدكتور طمني على شريفة"

نظرت إليه وبدا أن إرهاقه قد زال عنه وقد بدل ثيابه

- "فاقت من شوية وسألت عليك ورجعت نامت تاني"

استراح على مقعد قريب ومدد قدميه أمامه، نظر إلى توليب

- "بعتذر منك بس حقيقي مش قادر".

عادت هي لتنظر إلى ورقتها التي تحمل ملامح شريفة ولم تستطع أن تخط بقلمها باقي الملامح فوجوده قريبًا منها أربك قلمها، أخذت تفكر في ذلك الغريب، رفعت نظرها لتجده غط في سُبات عميق أصبحت ملامحه محفورة في ذاكرتها، عدلت من وضعية الكرسي وأخرجت ورقة جديدة وبدأت في رسم صورته، قطع استغراقها دخول الممرضة لتضع شيئًا ما في المحلول المعلق بيد شريفة، كانت قد انتهت من رسم صورته أحبت ملامحه، فكانت عظام وجهه منحوتة كالخيل، توجهت نحو شريفة التي بدا أنها تستفيق من نومها ولكن تلك المرة بدت بصحة أكثر، ابتسمت لها وهي تربت على يدها بحنان قائلة "أنا مش عارفة أشكرك ازاي انتِ أنقذتي حياتي" ترقرقت عيني توليب بالدموع "أرجوكِ متقوليش كدا انتِ عارفة غلاوتك عندي وعارفة لو بإيدي أعملك أي حاجة مش هتأخر" ضحكت قائلة "ولعلمك الدكتور قال ان قلبك زي الحديد والمفروض نفكر لك في عريس من دلوقتي" ضحكت شريفة على مُزاحها وتسائلت

-"يوسف لسه مجاش؟"

أجاب وهو يقترب منها "أنا هنا من بدري" جثى قربها وطبع قبلة حانية على يديها "أرجوكِ متخضنيش تاني عليكِ أنا مش عارف كان ممكن يحصل لي ايه لو حصل لك أي حاجة" وضعت يدها الأخرى على رأسه وأخذت تُربت عليه

انسحبت توليب خارج الغرفة لتعطي لهم المجال ولم يشعر بانسحابها أي منهم

-"سامحيني أنا آسف أنا عمري ما هسامح نفسي"

-"متقولش كدا أرجوك أنا عارفة ان عمرك ما تتأخر عليَّ"

-"تعبتي في الوقت الغلط يا شريفة انت أكتر حد أنا محتاجله دلوقت"

-"ميأخركش عني غير نور، نور رجعت يا يوسف؟"

أجابها بإيمائه، مدت يدها صوب وجهه لتزيل عبرة حبيسة أخذت طريقها صوب وجنته

-"متقلقنيش عليك"

-"كل اللي عايزك تقلقي عليه دلوقتي هو صحتك أي حاجة تانية تستنى ولازم تعرفي إني مش هستحمل إني أفقدك، فهماني يا شريفة مش هستحمل"

ربتت على وجهه ونظرت له نظرة حانية

سألته في قلق بصوت خافض

-"توليب قالتلي ان كان عندك مشوار مهم مشوار ايه؟"

-"هقولك كل حاجة بس شدي حيلك الأول وارجعيلي بالسلامة"

دخل الطبيب المعالج الغرفة في تلك اللحظة ودخلت خلفه توليب توجه إلى شريفة بدأ في قياس النبض والضغط،.تحدث وهو يبتسم

-"ايه أخبار مريضتنا البطلة دلوقت" وأخذ يفحصها "لا دا احنا أحسن الحمد لله" توجه بعدها إلى اللوح الورقي المثبت على سرير المريضة ودون بعض الملاحظات ثم أردف"مش عاوزين أي كلام كتير أو انفعال في المرحلة دي، الأدوية أنا سجلتها وهتفضلي معانا شوية عشان نطمن عليكِ"

تحدث يوسف

-"أنا مش عارف أشكرك ازاي يا دكتور"

-"دا واجبي يا فندم بعد إذنكم"

تحدثت توليب

- "شريفة اسمحي لي أروح شقتك أحضرلك شنطة صغيرة"

-"هتعبك معايا"

-"متقوليش كدا"

نظرت إلى يوسف

-"مش هتوصلها ولا إيه"

نظر إليها باستغراب

-"وأسيبك لوحدك؟!"

ابتسمت قائلة

- "مش هيحصلي حاجة الدكتور قال قلبي حديد، وبعدين أنا عاوزة أنام في هدوء وانتوا بصراحة عاملين حواليا قلق"

أردف باستسلام

- "اللي انتِ عاوزاه"

واقترب منها طابعًا قبلة على جبينها استوقفته قائلة

-"حاولوا تتغدو أكيد مأكلتوش من امبارح"

-"حاضر أي أوامر تانية"

-"اه فيه" وابتسمت "بس مش هقولك عليها دلوقتِ"

-"تصبحي على خير"

وانصرفا

تقدم الليل قليلًا، وتلونت السماء بالحمرة، أخذت الشوارع تعج بالأشخاص والعربات، توجهت توليب إلى سيارته إلا أنه استوقفها

-"تحبي نمشي شوية البحر مش بعيد عن هنا"

نظرت إليه ولم تستطع أن ترفض بداخلها قوة لم تفهمها تشدها نحو تمضية الوقت معه حتى وإن كان القليل، سارت بجانبه كانت تختلس النظر بين الحين والآخر أمسكها من مرفقها بحركة تلقائية منه أربكتها حينما شاهد ترددها في عبور الطريق

حدثته معتذرة

-"أنا آسفة عندي فوبيا من إني أعدي الطريق على الرغم من إن عندي ٣٠ سنة إلا إني في الحكاية دي زي طفلة عندها ٣ سنين"

ابتسم قائلًا

-"اه ما انا اخدت بالي"

توقفت عن السير وهي تتحدث وكأن شيئًا خطر على بالها فجأة

- "تفتكر شريفة هتكون كويسة؟"

توقف هو الآخر ونظر إليها

-"ايه اللي بيخليكِ تسألي السؤال دا الدكاترة كلهم طمنونا عليها لو فيه أي قلق كانوا قالولنا"

استمرا في السير مرة أخرى بدون حديث حتى وصلا إلى مطعم يطل على البحر أشار لها بالدخول كانت مصابيح الشارع وقتها قد أُشعلت دلفوا إلى داخل المكان، لم يكن لدى أي منهم رغبة في الطعام واكتفى كل منهما باحتساء القليل من القهوة، جلسا في مواجهة البحر وبدا كل منهما في عالمه الخاص حتى بدأ يوسف في الحديث دون أن ينظر إليها "نور وشهد في مصر" شعر برغبة في الحديث فلولا الحالة الصحية لشريفة لكان تحدث إليها وأزاح ما يعتري قلبه من ألم.

نظرت إليه فَرحة "طيب دي حاجة كويسة، أخيرًا اطمنت على بنتك" وأردفت في حماس تتسائل "قابلتهم؟"

أشعل سيجارة دون أن يبالي بحماستها

- "شهد طلعت متجوزة حسين زهدي"

تجمدت ملامحها

- "حسين زهدي الل.."

وافقها محركًا رأسه

-"أيوه هو اللي دخل جاسوسة مكتبي عشان يسرق شغلي"

-"طيب تفتكر هو بيعمل معاك كدا ليه"

-"أنا حقيقي معرفش؟ هي طول عمرها عاوزة الفلوس السهلة ميهمهاش جاية منين، حلال حرام مش فارقة طالما تصرف، تصرف من غير حساب، أنا محرمتهاش من دا بالعكس اضطريت إني أفحت في الصخر وأعلى عشان أوفر لها اللي هي عاوزاه عربية موديل السنة، فيلا كبيرة، خروجات، فسح، سفر وغيره وغيره الخناقة الأخيرة كانت بتتهمني إني مش موجود بتقولي أنا مش لقياك، ما هي طبعًا لازم متلاقينيش هي فاكرة ان الفلوس دي بتيجي من الهوا باخبط الأرض تطلع فلوس"

-"يعني انتَ تفتكر شهد هي اللي بتخليه يعمل كدا أقصد بتحاول تنتقم"

أجاب بانفعال وقد اشتدت حدة صوته "تنتقم! أنا اللي مفروض أنتقم، أنا معملتلهاش حاجة، بالعكس هي اللي حرمتني ابني وعاوزه تحرمني بنتي، هي السبب في كل اللي حصل برعونتها وعدم مسؤوليتها، هي لو واحدة مسؤولة مكنتش سمحت باللي حصل دا واللي بيحصل"

قالت وهي تنظر حولها

- "أرجوك اهدى أنا بس بفكر معاك بصوت عالي"

-"آسف على انفعالي"

-"طيب فكرت هتعمل ايه"

داعب شعره بيديه بحركة عصبية قائلا "

-أنا وكلت محامي وهرفع قضية ضم حضانة لبنتي أنا مش هسمح لها تربيها بالحرام، المحامي أكد لي إن القضية مضمونة، عملتله توكيل النهاردة الصبح وهيبدأ في إجراءاته"

-"طيب دي خطوة كويسة"

رن جرس هاتفها فنظرت إليه حينها رأت المتصل على شاشة الهاتف فالتقطت هاتفها بسرعة وأجابته، استمع هو بدوره إلى حديثها

- "بابا مساء الخير، حضرتك جاي خلال الأسبوع" نظرت بقلق إلى يوسف "أيوه طبعًا يا حبيبي حاضر، تيجي بالسلامة، منتظرة حضرتك، مع السلامة" بعد أن أنهت المكالمة، نظرت إلى هاتفها بعد أن أراحته على الطاولة بدت كأنها تفكر في تلك المعضلة التي أوقعت نفسها بها، تحدثت إليه وقد تبدلت ملامحها "ممكن نمشي لسه هنروح بيت شريفة ونرجع المستشفى"

-"تمام اتفضلي"

وتوجها إلى منزل شريفة أعدت حقيبة صغيرة لها وانتظرها يوسف بالأسفل بعد أن انتهت عادا إلى المشفى وكانت شريفة ما تزال نائمة كان يوسف قد اتفق مع توليب أنه سيبيت مع شريفة خاصة وأن الغرفة وسياسة المشفى تسمح بمبيت مرافق ألقت توليب نظرة إلى شريفة واستأذنت من يوسف للإنصراف استوقفها مطمئنًا إياها

- "توليب احنا على اتفاقنا بالنسبة لموضوع والدك"

ابتسمت له شاكرة

- "تصبح على خير"

أخذت تفكر وهي في طريقها لمنزلها كيف ظهر لها واحتل جزءًا رئيسيًا من حياتها ويومها فهي تفكر به صباحًا ومساءً كلماته، انفعالاته، غضبه ورقته، أصبح يشغل حيزًا كبيرًا من تفكيرها ذلك الحيز الذي قد سبق وقررت أن لا يشغله أحد ولكنه مختلف إنه الاستثناء الذي وَجب من أجله خرق قواعد قرارها سمحت لنفسها أن تعترف بحبها له

توجهت للعمل في اليوم التالي ولم يحضر يوسف، حاولت الاتصال بشريفة للاطمئنان عليها ولكن دون جدوى هاتفت يوسف ولكنه هو الآخر لم يرد، حاولت محاولات عدة للتواصل مع أي منهما ولكن جميعها باءت بالفشل، حتى أتى ميعاد الإنصراف توجهت مباشرةً للمشفى، علمت أنه قد ساءت حالة شريفة ونقلت إلى غرفة العناية المركزة، علمت ذلك فور أن دلفت المشفى من أحد الأطباء المتابعين لحالتها بحثت بعينيها عنه وجدته يتكئ على أحد الأركان خارج غرفة شريفة بدا شاردًا وفي حالة يرثى لها شعرت بغصة تختلج قلبها، آلمها أن تراه هكذا، اقتربت منه صامتة لم تستطع مواساته عجزت عن النطق هي الأخرى، استكانت إلى جواره في صمت مطبق كما استكانت أعينهم على باب غرفة العناية المركزة، وما لبث أن فُتح الباب حتى اعتدلا، اقترب منهم الطبيب بخطوات ثابتة معتليه ملامحه علامات الأسف، كل منهم يعرف هذه الخطوات والملامح، يعلمان الكلمات التالية، اختبأت توليب خلف يوسف، نظراتهم تعلقت بذلك الطبيب حتى توقف قبالتهم وأردف دون انفعال كمن تحصن ضد أخبار الموت، أو أن أخبار أهل المتوفي مسألة روتينية بحتة

-"أنا آسف، البقاء لله"

وانصرف، أغمض يوسف عينه كأنه تلقى صفعة شديدة على وجهه بينما توليب لم تستطع أن تتحكم في عبراتها التي أخذت في الانهيار دون إراده، بقيت إلى جواره تعلم ما يشعر به ويؤلمها كثيرًا، لم ينفعل لم يبكِ لم يقل شيئًا

تزامن إخبار الطبيب له بخبر شريفة باتصال آسر به، فتح الهاتف بطريقة آلية وقربه من أذنه دون أي انفعال تحدث آسر "يوسف عندي أخبار مش كويسة، شهد خدت البنت وسافرت المرة دي راحت فرنسا أنا لسه مكلمتش المحامي عشان نعرف احنا موقفنا ايه من قضية الحضانة.. يوسف الو يوسف سامعني؟" لم يستمع إلى باقي الحديث لأنه في حركة عصبية وبكل ما أُوتي من قوة ألقى بالهاتف في الأرض فانتشرت أشلاؤه .

أنهى إجراءات الدفن، دُفنت في نفس اليوم بجوار أمه كما أوصته دائمًا لم يكن هناك مراسم عزاء، طلب من توليب أن توصله إلى منزله لم يستطع القيادة أوصلته وحين دخلا المنزل نظر إليها ماسكًا يدها اقترب منها وهو يهمس بتوسل مزق قلبها "أرجوكِ متمشيش، أنا معدش ليا حد" لم تستطع سوى أن تومئ برأسها موافقة، بقيت إلى جواره، استلقى على الأريكة الخارجية لغرفة المعيشة، لم يترك يدها مما أجبرها أن تجلس بجواره بقيا هكذا حتى الصباح وما إن شعرت به يتحرك حتى استيقظت فتحت عينيها فوجدته يجلس بجوارها بملامح شاردة فاعتدلت في جلستها

-"شكرًا انك بقيتي"

تحدثت بقلق

-"يوسف انتَ كويس"

-"هبقي كويس أوعدك"

نظرت إلى ساعة يدها وأردفت في توتر

-"تحب استنى معاك"

-"مش هطمع في أكتر من كدا، كفاية عليَّ انك كنتِ جنبي امبارح، أنا مقدر اللي انتِ عملتهولي وماليش حق أطالب بأكتر"

-"أنا لازم أمشي.. هتطمني عليك مش كدا، هكلمك تليفون؟"

-"تعذريني لومردتش؟"

ترقرقت عيناها بالدموع

- "أعذرك في حالة واحدة، انك تكون كويس"

-"مسألة وقت أوعدك مسألة وقت"

تركته وانصرفت، أدركت أنها تركت قلبها معه، تعلم أنه يعاني، لم تره في مثل تلك الحالة من قبل، اختبرت قوة يوسف قبلًا، لكنها لأول مرة ترى ضعفه، أحزنها أن تراه هكذا، أرادت أن تُخفف عنه، تعلم جيدًا معنى الفقد خاصة أن يفقد المرء شخصًا عزيزًا، حاولت الاتصال به كثيرًا لكن دون جدوي، حينما عادت للشركة في اليوم التالي علمت أنه قد سافر لا أحد يعلم له وجهه لكنه أوكل بشخص آخر لرئاسة شركاته لم تتحمل توليب كثيرًا، تألمت لغيابه وهجرها بهذه الطريقة دون أي اتصال، ها هي تتعرض للألم مرة أخرى لكنها تلك المرة كانت تشعر بألمه وتركته يمضي داعية الله أن يجد خلاصه ويحرر قلبه، انقضت ثلاثة أشهر عقب وفاة

شريفة وسفره، قدمت استقالتها وتركتها على مكتب رئيسها الجديد غير مبالية بالشرط الجزائي.

عادت إلى القاهرة التي كانت قد هربت منها بسبب ألم لم تستطع تحمله آمله في بداية جديدة والآن تعود بألم آخر لكنها تلك المرة لن تطمع بشيء .

"إن الحب لا يمكن تفسيره، فهو يفسر كل شيء"

"جلال الدين الرومي

الفصل السابع

دلفت منزلها تبحث عن رفيق روحها، بحثت عن أبيها لم تجده توجهت إلى مكان أبيها المفضل ذلك الركن الجانبي في شرفة المنزل حينما رأته عَدت نحوه وألقت بنفسها بين ذراعيه

-"لو تعرف وحشتني اد ايه يا بابا"

-"انتِ كمان واحشاني، إنما ايه الأشواق دي كلها"

-"ما حضرتك وعدتني انك هتيجي ومجتش"

-"توليب في حاجة حصلت؟ انتِ فيكِ حاجة متغيرة"

ارتمت بحضن والدها وبكت، أطلقت لعينيها العنان وما إن هدأت حتى أخذت تقص عليه الأحداث المتتالية التي عاشتها عن يوسف وشريفة وكشفت له عن اللعبة الغير مكتملة لإبعاد زياد عنها وغيره من الأحداث لكنها أغفلت شيئًا واحدًا أدركه أباها حبها وقلبها اللذان لم يعد لها عليهما سلطان

احتضنها والدها بشدة مطمئنًا إياها

-"انسي يا حبيبتي، ربنا أكرمنا بنعمة النسيان، انسي أي ذكرى مؤلمة ليكِ واحتفظي بالجزء الحلو اللي يفرحك في أي خبرة تمر عليكِ الدنيا بتستمر ومبتقفش على رحيل حد الفرح، الحزن، الألم، القلق كل دي مشاعر ضرورية عشان تحسسنا اننا عايشين، والحياة زي ما بتدينا بتاخد مننا التحدي بقي اننا نستمر، انزلي اخرجي واتفرجي على وشوش الناس في الشارع، هتلاقي رغم الألم وزحمة الحياة عايشين ورغم الحاجة بيدوروا

على اللى بيبسطهم، متخليش حاجه تحجمك أو توقفك، امسكي فرشتك وألوانك وارجعي للوحاتك خرجي اللي جواكِ، ارسمي وارسمي لحد ما تطلعي كل اللي جواكِ فهماني حبيبتي"

أومأت برأسها وعادت لتستقر في حضن أبيها

حدثت نفسها "أعلم جيدًا أن الحياة ستمضي لكن دون قلبي، قد سبق وأهديته ليوسف ولا أعلم متى سأسترد أيًا منهما، جُل ما أستطيع فعله هو المضي قدمًا دون انتظار شيء"

انقضى عامان لم تسمع خلالهما أي خبر عنه أو منه، اعتادت على التظاهر بأنها بخير، كما اعتادت ألم قلبها، لم تستطع أن تنساه كما لم تحاول أن تعرف عنه شيئًا، أغلقت قلبها بعده لم تسمح لأحد من الاقتراب فعلي الرغم من أنه لم يعدها بشيء إلا أنها وهبته قلبها عن تراضٍ، كانت سلواها زهرته التي كانت قد وعدته بالاعتناء بها لأجله، أصبحت تذهب إلى الإسكندرية لم تنقطع عن دار الإيواء الخاصة بيوسف، كانت تذهب كل أربعاء من كل أول شهر واعتادت أن تفعل ما كان يفعله يوسف وشريفة فأصبحت قِبلتها للهدوء النفسي والذكريات، تعلمت أن تعبر الطريق وحدها، كما أصبح السير بمحاذاة البحر متعتها الخاصة

ساعدها وجود والدها بجوارها على تجاوز معاناتها بشكل ما، كما حثها وساعدها على إنشاء مكتب للترجمة عملت بكل طاقتها عله يشغلها عن خفقات قلبها المستترة، استعانت بثلاثة من أصدقائها للعمل معها، وبخبراتها العلمية والعملية استطاعت أن تكسب الثقة كمترجمة محترفة كما

حصلت على اعتماد رسمي من السفارة الفرنسية وهو أسمى ما يحصل عليه المترجم.

عادت للرسم كما عملت على إقامة معرض فني سمته "بورتريه شريفة" ضمت فيه مجموعة من أعمالها الجديدة أحبت أن تهديه لروح شريفة وتذكرت ذلك البورتريه غير المكتمل حاولت إكماله لكن خانتها ذاكرتها فخطر لها أن تكمل ملامح البورتريه من ملامح يوسف المحفورة في ذاكرتها وقلبها والتي طالما أحبت النظر إليها وما إن انتهت حتى أصبح عمل فني رائع شعرت فيه بالرضا وبالكمال الفني

بيعت كل لوحاتها التي لاقت استحسانًا شديدًا لم تكن تتوقعه لكنها أصرت على عدم بيع لوحة شريفة إنها ذكراها هي فقط

وقفت في صالة المعرض تنظر في إعجاب للوحتها "بورتريه شريفة" معبد ذكرياتها وإذ يقترب منها تامر لبيب متعهدها الفني "احنا عاوزين نحضر للمعرض التاني من دلوقتي"

ضحكت

-"مش أما نخلص الأولاني"

-"انتِ مش شايفة الناس حواليكِ عاملة ايه، رسوماتك لامسة القلب توليب أنا حقيقي على الرغم من إني اشتغلت مع فنانين كتير إلا إني مشتغلتش مع حد عنده موهبتك"

-"أرجوك بلاش مبالغة"

-"أرجوكِ انتِ بلاش تواضع، وبعدين هتعملي ايه في اللوحة اللي كل شوية تهربي ليها"

-"هعمل فيها ايه، احنا متفقين دي لوحتي ومش للبيع"

-"طيب وان قلتلك ان ليها شاري"

-"هقولك لا طبعًا، انتَ عاوز تكرر اللي حصل مع لوحة الخيول"

اعترض على اتهامها "انتِ عارفة انك انتِ اللي بَعتيها وأنا هعرف من فين انها مكانتش للبيع أو إنها اتبعتت بالغلط"

ابتسمت حينما تذكرت أن من اشترى تلك اللوحة هو يوسف وأنه كان يضعها في مكتبه وحينما انتقل إلى مكتب الإسكندرية أخذها معه، أحست بغصة في قلبها حينما تذكرته.

لاحظ تامر شرودها

-"ايه رحتِ فين.. انتِ مش معايا خالص"

التفت إليه

- "تامر كلامي نهائي مفيش بيع للوحة دي"

-"خلاص اقنعي الأُستاذ اللي عاوز يشتريها إصراره على انه يشتريها مش هيخليني أقدر أروح أقوله إنها مش للبيع"

اقترب منهما ذلك الرجل الذي أراد شراء اللوحة

تحدث تامر محييًا إياه

-"أهلا بشمهندس يوسف.. صاحبة اللوحة شخصيًا أهي تقدر تكلمها وتقنعها"

مد يده صوبها قائلًا بصوت متوتر

="ازيك توليب"

تجمدت في مكانها حينما سمعت صوته، التفت إليه بسرعة قائلة

-"يوسف"

انتابتها مشاعر عدة لرؤيته، لم تعد نفسها لتلك اللحظة، ظهر لها فجأة كما اختفى فجأة، لم تجبه ولم تمد يدها لترد على سلامه أغمضت عيناها في محاولة منها للسيطرة على انفعالها

همس وقد اقترب منها

-"وحشتيني"

أرادت الصراخ فيه وأن تصفعه على وجهه كما أرادت أن ترتمي بحضنه أن تخفي وجهها قرب قلبه وتبكي لكنها لم تفعل أيًا من هذا أو ذاك، امتقع لون وجهها وسقطت عبراتها رُغمًا عنها كم تكره عبراتها تلك التي تخونها دائمًا أمامه، اكتفت بأن تدير ظهرها له وبدأت بالسير نحو باب الخروج بخطوات أقرب إلى العدو

ناداها لكنها لم تلقِ له بالًا، تقدم نحوها بسرعة كانت قد خرجت من القاعة أمسكها من ذراعها واستوقفها "بتهربي مني ليه"

أجابته بانفعال

- "أنا بحافظ على نفسي"

-"مِني؟!"

-"أيوه منك، أنا مهربتش، انتَ اللي هربت مني مش أنا، أرجوك يوسف سيبني"

-"ياه لو تعرفي اد ايه وحشني اسمع اسمي منك، وآسف مقدرش أسيبك"

تحدثت بانفعال

- "لا قدرت، انت ايه اللي جايبك، عاوز مني ايه، ليه راجع دلوقت، سيبتني ومشيت من غير متقولي كلمة واحدة انتَ عارف عملت فيَّ ايه، عارف السنتين دول عدوا عليَّ ازاي، قلقي عليك كان عامل ازاي، حياتي كانت عامله ايه، قررت تهرب من غير ما تطمني عليك، أو تقولي انت فين، أنا مطالبتكش بحاجة وعارفة انك موعدتنيش بحاجة، بس على الأقل لو كان فيه فقلبك أي مشاعر ناحيتي كنت تطمني، تطمني يا يوسف .. أرجوك سيبني"

-"بس انتِ لازم تسمعيني"

حدثته وهي لم تعد تبالي بعبراتها التي تنهمر دون انقطاع

-"معدش عندي طاقة أسمع من فضلك سيبني"

سحبت ذراعها من بين يديه وانطلقت إلى سيارتها

توجهت إلى منزلها انتظرت قليلا أن تهدأ مسحت وجهها وحاولت أن تبدو بخير حتى لا يقلق والدها لرؤيتها

التقت بوالدها عند باب المنزل حيث كان يهم بالخروج حدثها بقلق لرؤيتها

-"ايه اللي جابك دلوقتي، انت مش قايلالي انك هتتأخري"

رسمت ابتسامة على وجهها المجهد

- "تعبت شوية ومقدرتش استنى، بس أنا سايبة تامر في المعرض".

-"توليب انتِ معيطة؟"

-"أصل أنا دخُت وأما دُخت وقعت، فاتوجعت أوي، فعيطت"

حدثها وهو يربت على كتفها

-"واضح حبيبتي إنك اتوجعتي جامد"

حاولت أن تغير دفة الحديث فسألته

- "هو حضرتك خارج"

-"اه جالي تليفون مهم، مشوار بسيط، هحاول متأخرش، خدي حمام ونامي"

-"حاضر"

"لا أرَاك ولكنني أرَاك، فرؤيَة العين
رُؤيةَ ورُؤيَةَ القلب لِقَاء"

"جلال الدين الرومي

الفصل الثامن

-"مصطفي بيه أنا شاكر إن حضرتك قبلت إنك تقابلني"

-"اللي سمعته عنك من توليب يخليني أحترم الشخصية اللي قدامي وبالتالي معتقدش إن فيه مانع إني أقابلك دا بالإضافة إلى إني عندي أسئلة كتير عاوز أعرف لها إجابات"

-يا فندم أنا هوفر على حضرتك أي أسئلة وأعتقد الكلام اللي أنا هقوله هيجاوب على أي تساؤل من ناحية حضرتك بس كل اللي أنا طالبه تديني المساحة إني أتكلم"

-"اتفضل يا ابني أنا سامعك"

"تسمحلي أدخن"

-"على الرغم من إن السجاير بتضايقني لكن واضح إنك محتاج لها، اتفضل"

-"متشكر"

-"حكايتي مع توليب تبدأ من قبل ما أعرف إنها اتقدمت للوظيفة في شركتي.." وبدأ في سرد أحداث معرفته بتوليب وارتباطها به وحبه غير المعلن لها بالإضافة إلى ظروف موت شريفة واختفاء ابنته ،أظهر السيد مصطفى تأثره الشديد بما سرد صمت يوسف لحظة "اليوم اللي عرضت عليها إني أساعدها بإني أتقدم لها بشكل صوري لإني أقنعتها إن زياد أكيد هيبلغ حضرتك باللي حصل ودا أقنعها إنها تقبل عرضي بالخطوبة ودي بالنسبة ليا كانت فرصة إني أتقدم لها لأني فعلًا حبيتها لكن الظروف كانت

أقوي، موت شريفة هزني جامد أمي للمرة التانية تموت، دا بالإضافة لهروب طليقتي ببنتي، مستحملتش كان لازم أبعد مكنش في إيدي غير إني أبعد لإني لو كنت استنيت كنت اتجننت، كنت محتاج مساحة أستعيد اتزاني تاني، وجعني بُعد توليب بس عمري ما كنت هسمح لنفسي إنها تشوفني في أسوأ حالات ضعفي فاهمني يا عمي"

ربت على كتفيه

- "فاهمك يا ابني، انت شفت توليب؟"

هز رأسه

-"رُحتلها المعرض"

-"ورد فعلها ايه؟"

أجاب بأسف

-"موجوعة مني جامد"

-"اتكلمت معاها؟"

هز رأسه نافيًا

-"مسمحتليش"

أجابه السيد مصطفى وهو يقف

- "هستناك بكرة الساعة ١٠:٠٠ نفطر سوا، طبعًا عارف البيت"

أردف في قلق "بس أنا خايف من رد فعلها"

"متقلقش هي محتاجة تسمع اللي انتَ قولته ليَّ منتظرك بكرة إن شاء الله"

بات من الواضح للعيان أنها أمضت ليلتها تبكي دون أن تنام حينما رآها والدها تحدث مازحًا "ياه دا واضح إن وقعة امبارح كانت جامدة"

ضحكت رغمًا عنها دون أن تعلق أردفت

- "دقايق والفطار يكون جاهز"

-"هي الساعة كام دلوقتِ"

-"٩:٣٠"

-"طيب اعملي حساب فرد كمان على الفطار صديق عزيز عزمته امبارح يفطر معايا"

-"حاضر" تساءلت "حد أعرفه؟"

-"أيوه يا حبيبتي تعرفيه"

-"مين يا ترى اللي هينول الشرف الكريم انه يفطر مع سيادة اللواء"

ابتسم

- "كلها دقايق وتعرفي"

وما إن أنهى كلامه حتى دق جرس الباب

-"اهو.. دا أنا واثق ان حماته كانت هتحبه"

ابتسمت لأبيها وعادت للمطبخ لإحضار الطعام لوضعه على طاولة الطعام

فتح السيد مصطفى الباب مستقبلًا إياه بابتسامه حانية

- "أهلًا يوسف ادخل يا ابني"

شكره وتوجه للداخل، لفت نظره تلك اللوحة الموضوعة على حائط الغرفة، إنها نفس اللوحة التي يقتنيها لوحة الخيول، تقدم منه السيد مصطفى متحدثًا بإعجاب

- "دي من لوحات توليب كان ليها لوحة اتباعت عن طريق الخطأ ومعرفتش تستردها بعد ما اتباعت فرسمت لها واحدة تانية".

ابتسم يوسف وهو يحدق باللوحة

- "تصدق يا عمي إن اللوحة التانية أنا اللي اشتريتها"

تقدمت توليب من أبيها والزائر "بابا الفطار جاهز" وما إن استدارا حتى صاحت باستنكار "يوسف"

حثها أبيها أن تجلس وتسمع منه، تقدم منها يوسف قائلًا

- "انتِ لازم تسمعيني ومش هتعرفي تهربي مني المرة دي أرجوكِ اديني الفرصة عشان تسمعيني" نظرت لأبيها في حيرة فابتسم مطمئنا "يوسف قال لي كل حاجة اديله فرصة واسمعيه والقرار قرارك في الآخر أنا هسيبكم وهستناكم تحصلوني للفطار"

جلست وجلس هو قبالتها في صمت ينظر إليها وهي لم تجرؤ أن تنظر إليه "توليب" رفعت نظرها صوبه

-"أنا بحبك ومعنديش استعداد إني أقضي باقي عمري من غيرك يمكن غِلطت إني مشيت من غير ما أتكلم معاكِ لكني كنت مكسور ومرهق أوي ،انت تستحقي يوسف اللي شفتيه أول مرة مش يوسف الضعيف، وأنا وقتها ضعفت، موت شريفة وهروب شهد هدم جوايا حاجات كتير هزتني، كفرت بحاجات كتير أوي بأخلاقيات وقيم مبادئ ومُثل كانت

راسخة جوايا.. أنا في لحظة فقدت الأمل في كل حاجة حسيت ان كل دا كلام فاضي لكن كان فيه حاجة جوايا بتقول لي ان ربنا مش هيخيب ظني أبدًا كان لازم أرجع نفسي عشان أستحقك كان لازم أرجع بنتي لحضني قبل ما تضيع مني، عشان أما تكوني معايا تحسي بالأمان"

نظرت إليه ثم تحدثت في لهفة "نور، نور بقت معاك"

أومأ برأسه وهو يبتسم

- "نور معايا أخيرًا وحكيت لها عنك كتير أوي ومشتاقة تتعرف عليكِ"

صمت لحظة وأردف بصدق "توليب هتسمحي تنوري حياتي أنا ونور، تسمحي تقضي معايا اللي باقي من عمرنا، تسمحيلي أصلح غلطة عمري كله بإني مقابلتكيش من بدري، اقترب منها ورفع راحة يدها نحو ثغره وطبع عليها قبلة حانية سائلًا إياها، تقبلي تتجوزيني"

-"قبل ما تقولي أي حاجة أنا عاوزك تعرفي إني فعلًا بحبك وعارف إن حياتي مش هيكون ليها معنى من غيرك وأضاف برقة وعاوزك تعرفي إن عمري ما هقبل برفضك طلبي وهفضل أجري وراكِ وأروح منين ما تروحي وهطلعلك حتى في أحلامك لحد ما تزهقي مني وفي الآخر توافقي على جوازنا"

ابتسمت هي الأخرى

- "بس أنا موافقة من غير دا كله، مش هسمحلك تسيبني تاني"

الفهرس

الفصل الأول...٦

الفصل الثاني ١٣

الفصل الثالث...٢٩

الفصل الرابع ٥٧

الفصل الخامس...٦٩

الفصل السادس ٨٣

الفصل السابع ١١٢

الفصل الثامن.. ١٢٠